وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: تاريخ

الطريقة السنوسية وعلاقتها بالدولة العثمانية من التأسيس وحتى الاحتلال الايطالي لليبيا 1843م-1911م

.....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:
حبيبة زيطة

إشراف الأستاذ:
د. أحمد جعفري

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	رحيمة بيشي		جامعة غرداية	رئيسا
02	أحمد جعفري		جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
03	عمر بن قايد		جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1441-1442ه/2020-2021م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: التاريخ

الطريقة السنوسية وعلاقتها بالدولة العثمانية من التأسيس وحتى الاحتلال الايطالي لليبيا 1843م-1911م

.....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:
حبيبة زيطة

إشراف الأستاذة:
د.أحمد جعفري

الموسم الجامعي:1441-1442ه/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى ملاكي في الحياة ... الى معنى الحب ونبع التفاني و العطاء، الى سر بسمتي ...الى من كان دعاؤها سر نجاحي : أمي الحبيبة .

الى درعي الذي به احتميت ، وفي الحياة به اقتديت ، والذي شق لي بحر العلم و التعلم، الى من احترقت شموعه ليضيء لي درب النجاح ، ركيزة عمري : أبي الغالي .

الى من يذكرهم القلب قبل أن يكتب القلم ، الى من قاسموني حلو الحياة و مرها: أختي و زوجها ،اخوتي وزوجاتهم ، وأبنائهم .

وكل من يحمل لقب زيطة

إلى صديقتي وأختي التي لم تلدها أمي : زينب .

الى كل من لك يدركهم قلمي ، أقول لهم بعدتم ولم يبعد عن القلب حكيم ، وأنتم في الفؤاد حضور .

إلى زملائي بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

إلى كل من بادرني و شاطرني و ساعدني و لو بكلمة طيبة أو دعاء .

أهدي هذا العمل المتواضع

✍ حبيبة

شكر و عرفان

الشكر والحمد لله الذي علمنا بعد جهل وهدانا بعد ظلال والذي وفقنا بعونه وقدرته لإنجاز هذا العمل ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان بالجميل إلى الدكتور المشرف على هذا العمل د: أحمد جعفري الذي منحني الكثير من وقته ، وكان لرحابة صدره و سمو خلقه وأسلوبه المميز في متابعة الرسالة اكبر الأثر في اتمام هذا العمل ، وإلى جميع أساتذة قسم التاريخ ، وعمال الجامعة بدون استثناء كما أشكر كل من ساهم في انجاز هذا العمل

من قريب أو من بعيد

وإلى كل من ساعدني ولو كلمة طيبة

قائمة المختصرات

الكلمة	الاختصار
تحقيق	تح
تعريب	تعر
تقديم	تق
ترجمة	تر
تعليق	تعل
دون تاريخ	دت
دون طبعة	دط

مقدمة

مقدمة:

كانت الدولة العثمانية بمثابة الحصن المنيع لإيالاتها المغاربية في غرب المتوسط ولعدة قرون، نظراً لقوة أسطولها البحري ولكونها مركزاً للخلافة الإسلامية، الا أنه وبحلول القرن الثامن عشر الميلادي أصبحت الدولة العثمانية غير قادرة على التصدي للمد المسيحي الصليبي الذي يستهدف ايالاتها في شمال إفريقيا، بسبب وهنها واضطراب بيتها الداخلي، وتزامن ذلك مع بروز نشاط بعض العلماء ورجال الدين الداعية إلى إحداث شيء من التغيير في سياسة وإدارة الباب العالي لهذه الإيالات، وتبع ذلك ظهور مجموعة من الحركات الإصلاحية كان هدفها الأساسي ترميم الشرخ الذي حدث في بنية المجتمع الإسلامي ومحاربة فساد الأخلاق، و في الوقت نفسه مواجهة الخطر الاستعماري الذي يهدد الأمة الإسلامية، وكان من أبرز تلك الحركات الدعوة الوهابية والتي يعتقد الكثير أنها منبع لعدة حركات إصلاحية أخرى، أهمها الحركة السنوسية التي ظهرت في طرابلس الغرب وكان مهدها الأول في بلاد الحجاز على يد المرابط الجزائري محمد بن علي السنوسي، الذي قام بوضع الأسس الأولى لطريقته في طرابلس الغرب، هذه الحركة التي تمكنت بمرور الزمن أن تجعل من وجودها بمثابة جسم وكيان خاص قائم بذاته انعكس على علاقتها بالباب العالي والتي غلب عليها التحفظ حيناً وشابها التوتر طوراً آخر.

تمكنت الطريقة السنوسية بفضل نظامها الخاص أن تجعل من نفسها إمبراطورية صغرى تندرج تحت إمبراطورية أكبر وهي الدولة العثمانية، فقد تمكنت من تحقيق استقلالها الذاتي في العديد من الفترات، لكن هذا الاستقلال لم يمنعها من التعايش مع نظام الباب العالي أو حتى مساعدته، وذلك كون الأخيرة دولة الخلافة الإسلامية، والطريقة لا يمكنها الخروج من عباءة ذلك الولاء والتبعية.

وانطلاقا من ذلك جاء عنوان مذكرتي موسوماً **بالطريقة السنوسية وعلاقتها بالدولة العثمانية من التأسيس وحتى الاحتلال الايطالي لليبيا 1843-1911م.**

حدود الدراسة:

المكان: طرابلس الغرب(ليبيا) والتي تعتبر من أبرز الايالات العثمانية في شمال إفريقيا والتي كان لها مكانتها الخاصة لدى الدولة العثمانية بسبب موقعها الاستراتيجي وخاصة وأنها كانت على حدود مشتركة مع أكثر من ايالة عثمانية في الغرب (الجزائر وتونس)، وحينها أخذت الدولة العثمانية في فقد ممتلكاتها في الشمال الإفريقي مما جعلها تحاول بشتى الطرق المحافظة على ما تبقى لها وخاصة طرابلس الغرب والتي كانت أيضا بمثابة همزة الوصل بين الايالات المغربية والايالات المشرقية للدولة العثمانية.

الزمان: وهي الفترة من 1837م إلى 1911م، حيث تمثل السنة الأولى بداية ظهور معالم الطريقة السنوسية في طرابلس الغرب، في حين تمثل السنة الثانية (1911م) سقوط طرابلس الغرب تحت الاحتلال الايطالي، وطوال تلك الفترة عرفت علاقات الحركة السنوسية مع السلطة العثمانية فترات مدٍّ وجزرٍ انعكست على أوضاع طرابلس الغرب الداخلية ومواقف الحركة من مختلف القضايا الإقليمية والعالمية.

الهدف من الدراسة:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إبراز العلاقة التي ربطت الحركة السنوسية بالسلطة العثمانية سواء تعلّق الأمر بالسلطة المحلية في طرابلس الغرب أو بمركز الخلافة في الباب العالي، على اعتبار المكانة التي حظيت بها الطريقة السنوسية في الأوساط والقبائل الليبية من جهة ومواقفها المشرّفة اتجاه العديد من القضايا المحلية والدولية وبالأخص موقفها من الحملات الاستعمارية التي تعرّضت لها عديد دول العالم العربي والإسلامي آنذاك والتي كانت تمثل جزءً من دولة الخلافة العثمانية.

الإشكالية:

تعتبر الطريقة السنوسية من أبرز الحركات الإصلاحية التي برزت خلال القرن التاسع عشر، والتي كان لها دور خاص في ليبيا، حيث كانت بمثابة همزة الوصل

بين المجتمع والسلطة العثمانية فيها، ما جعل العلاقات السنوسية العثمانية تمر بالعديد من المراحل، ومن خلال الدراسة تسنى طرح الإشكالية التالية:

- ✓ أين تبرز الأسس التي ارتكزت عليها علاقة السنوسيين بالدولة العثمانية في طرابلس الغرب؟

تندرج تحتها مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ✓ كيف تمكنت الطريقة السنوسية من بسط نفوذها في طرابلس الغرب؟
- ✓ فيما تجلى نشاط الحركة السنوسية على مستوى طرابلس الغرب؟
- ✓ أين تظهر المواقف المختلفة للدولة العثمانية من الطريقة السنوسية؟
- ✓ كيف كانت علاقة الطريقة السنوسية بمختلف مكونات المجتمع الطرابلسي وبسلطته في الوقت نفسه؟

خطة الدراسة:

وللإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة، اتبعنا الخطة التالية، مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، تتضمن المقدمة تمهيدا للموضوع وصياغة لإشكاليته إضافة إلى المنهج والخطة المتبعة وتوضيح الأهداف المرجوة مع إشارة إلى بعض الصعوبات التي يمكن ان تعترض مراحله مع التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة فيه.

الفصل الأول جاء تحت عنوان محمد بن علي السنوسي وتأسيس الطريقة السنوسية، يتضمن ثلاثة مباحث، خصصنا الأول للتعريف بالحركة السنوسية من حيث أسسها ومبادئها وخصائصها وكذا الظروف التي ساهمت في انتشارها، أما المبحث الثاني فقمنا فيه بترجمة لمؤسس الطريقة من خلال إبراز مولده ونشأته ثم رحلته ثم مؤلفاته ووفاته، أما المبحث الثالث فتضمن تعريفاً بأهم أئمة الحركة السنوسية وهما على التوالي محمد المهدي وأحمد الشريف قمنا بشرح مختصر لحياة كل واحد منهما.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان علاقة الطريقة السنوسية بالمجتمع من خلال نشاط الزوايا والتي تعتبر الركيزة الأساسية للطريقة السنوسية، وتضمن ثلاثة مباحث أيضا، الأول تطرقنا فيه إلى الزوايا السنوسية من خلال موقعها ومكوناتها المادية

والبشرية وكذا أهم هذه الزوايا وأشهرها، وقد خصصنا المبحث الثاني إلى الدور والنشاط التعليمي لهذه الزوايا انطلاقا من المكاتب الابتدائية وحتى المعهد العالي للجغبوب، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه النشاط الاجتماعي للزوايا السنوسية خاصة وأنها ساهمت في توحيد القبائل وتكوين مجتمع متماسك فضلا عن الخدمات الإنسانية التي كانت تقدمها من إيواء وإطعام وغيرها.

وبالنسبة للفصل الثالث فجاء بعنوان علاقة الطريقة السنوسية بالدولة العثمانية، ويحتوي على ثلاثة مباحث هو الآخر، خصصنا المبحث الأول لدراسة العلاقات السنوسية العثمانية في عهد المؤسس محمد بن علي السنوسي من خلال التطرق إلى موقف ابن السنوسي من الدولة العثمانية ونظرتها هي الأخرى لنشاطه، وكيف كان تعامل ابن السنوسي معها حتى تمكن من كسب اعترافها بحركته واستغلالها لخدمة مصالحها، أما المبحث الثاني تضمن العلاقات السنوسية العثمانية في عهد محمد المهدي، هذا الأخير الذي تمكن بسياسته المرنة من كسب مساندة الدولة العثمانية لحركته رغم تخوفها من نشاطه في البداية، المبحث الثالث فتناولنا فيه العلاقات السنوسية العثمانية في عهد أحمد الشريف، والذي رغم محاولة الدولة العثمانية التقليص من نفوذ السنوسية في عهده إلا أن اشتراك المصالح أدى إلى عودة العلاقات الودية بين الطرفين. وفي الأخير خاتمة تلخص أهم نتائج البحث. إضافة إلى الملاحق وقائمة للمصادر والمراجع.

المنهج المتبع: من أجل الوصول إلى نتائج فعالة من البحث استخدمنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، حيث تجلى الوصف خاصة في وصف الأوضاع العامة أو بعض الأماكن كالزوايا ووصف العلاقات، وكذا التحليلي من خلال ذكر الحوادث التاريخية وتحليل المعطيات المتعلقة بها.

الدراسات السابقة:

الطريقة السنوسية 1919-1951م ومواقفها من قضايا العصر محليا – اقليميا – دوليا: وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر من اعداد الدكتورة بوزبوجة سميرة ،نوقشت يوم 15 نوفمبر 2017 ، تناولت المذكرة تعريفا للطريقة السنوسية ، و أبرزت موقفها من القضايا المحيطة

بها محليا كالاحتلال الايطالي لليبيا ، و اقليميا كالاحتلال الفرنسي للجزائر ، و دوليا كالحرب العالمية الأولى و الثانية .

نشاط الحركة السنوسية في طرابلس الغرب (1843-1919): وهي مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر من اعداد الطالبة لوصيف عائشة والتي تناولت فيها تعريفا للحركة السنوسية ، و أهم أئمتها ، و كيفية انتشارها ، اضافة الى دورها العسكري في مواجهة الاحتلال الايطالي.

الحركة السنوسية ودورها في محاربة الاحتلال الايطالي (1911-1932): وهي مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،من اعداد الطالبة دلال رداوي ، تطرقت فيها الى التعريف بالحركة السنوسية و دورها في الجهاد ضد الاحتلال الايطالي لليبيا بمرحله المختلفة.

أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

موضوعية:

- ✓ كون هذا الموضوع يتضمن جزء لا يتجزأ من تاريخنا الإسلامي والذي أردنا التطرق إليه للتعريف بهذه الطريقة الصوفية الجليلة والتي كان لها دور كبير لا يمكن التغاضي عنه.
- ✓ تزويد الباحثين والمهتمين بدراسة تاريخ الطريقة السنوسية ببعض الإضافات لأننا لاحظنا قلة المعلومات عن دور ونشاط الطريقة السنوسية في طرابلس الغرب قبيل تولي زعمائها لواء الجهاد.
- ✓ محاولة توضيح علاقة السلطة العثمانية بالشعب في طرابلس وذلك من خلال إبراز علاقتها بالطرق الصوفية (السنوسية نموذجا) التي تمثل المجتمع في غالب الأحيان.

ذاتية:

- ✓ الرغبة في دراسة مفصليات التاريخ السياسي والاجتماعي لطرابلس الغرب.
- ✓ دراسة الطريقة السنوسية التي كان نواة تأسيسها لعائلة شريفة ذات أصول جزائرية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

ولأجل الوصول إلى الأهداف المبتغاة من هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر أهمها :

"السنوسي الكبير" لمؤلفه الطيب الأشهب والذي استقينا منه كم وفير من المعلومات حول علاقة الطريقة السنوسية بالدولة العثمانية خاصة في عهد مؤسسها الأول والاطلاع على بعض الوثائق المهمة الخاصة بالموضوع.

وكذا كتاب "سنوسي برقة" لايفانز بيرتشارد والذي استخلصنا منع العديد من الحقائق التاريخية حول تعامل الدولة العثمانية مع الطريقة السنوسية وأهم الخدمات التي قدمتها السنوسية لهذه السلطة.

وكتاب "حاضر العالم الإسلامي" للوثروب استوارد والذي ساعدنا في التعرف على العديد من الأحداث والوقائع التاريخية الخاصة بالحركة السنوسية.

كما اعتمدنا على العديد من المراجع أهمها:

كتاب "تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر – مطلع القرن العشرين "لنيكولاي ايلتشن بروشين والذي يتناول جزء مهم يتحدث عن الطريقة السنوسية وعن مؤسسها محمد بن علي السنوسي.

وكتاب "السنوسية دين ودولة "لمحمد فؤاد شكري والذي يشمل أدق التفاصيل عن الطريقة السنوسية, من خلال تطرقه إلى التعريف بالطريقة السنوسية وبمبادئها وخصائصها وأهم المراحل التي مرت بها الدعوة السنوسية.

وكذا كتاب "الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر" لمؤلفه أحمد صدقي الدجاني, والذي كان الاعتماد عليه بدرجة كبيرة خلال البحث, فقد تطرق إلى الحركة السنوسية من مختلف الجوانب, وخصص لكل واحد من أئمتها فصلا خاصا به, انطلاقا من المؤسس محمد بن علي السنوسي.

بالإضافة إلى كتابات نيقولا زيادة, خاصة مؤلفه الذي هو بعنوان "إفريقيات" والذي وصف فيه أوضاع طرابلس الغرب كجزء من الايالات العثمانية في الشمال

الإفريقي, وكتاب " برقة الدولة العربية الثامنة " والذي اعتمدنا عليه في دراسة نشاط الحركة السنوسية خاصة في إقليم برقة.

ومؤلفات علي الصلابي عن الطريقة السنوسية والتي من منطلق ديني أقل منه سياسي، من أهمها كتاب "تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا", والذي تضمن الدور الديني والجهادي للحركة السنوسية, وكذا كتاب "الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا" والذي تناول فيه المؤلف دراسة شاملة لأئمة الحركة السنوسية وترجمة خاصة بكل واحد.

وغير ذلك من المصادر والمراجع التي لا تقل أهمية عن التي سبق ذكرها.

صعوبات الدراسة:

وككل بحث علمي لابد أن تعترضه بعض الصعوبات والعراقيل، والتي يمكن أن تواجه كل باحث، من أهمها:

- قلة المصادر المتعلقة بالطريقة السنوسية خاصة في الفترة التي سبقت توليها لواء الجهاد ضد الاحتلال الايطالي.
- صعوبة تجميع المادة المتفرقة في المكتبات الخارجية لصعوبة التنقل بسبب جائحة كورونا.

الفصـــل الأول

محمد بن علي السنوسي وتأسيس الطريقة السنوسية

تمهيد

المبحث الأول: التعريف بالحركة السنوسية

المبحث الثاني: مؤسس الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي (1202-1276ه، 1787-1859م)

المبحث الثالث: أهم أئمة الحركة السنوسية

خلاصة

تمهيد:

كان لتراجع قوة الدولة العثمانية الحامي الأوحد للإيالات المغاربية في شمال إفريقيا خاصة بحلول القرن الثامن عشر،أن تزايدت الأطماع الأوروبية في تركتها،وتزامن ذلك مع نشاط العلماء ورجال الدين وبروز الحركات الإصلاحية التي كان هدفها الأساسي محاربة فساد الأخلاق، وفي نفس الوقت مواجهة الأخطار الاستعمارية الجديدة المهددة للعالم الإسلامي، والتي كان من أبرزها الحركة السنوسية لمؤسسها محمد بن علي السنوسي، ويطلق لفظ الحركة السنوسية على الطريقة السنوسية وذلك لاستيفاء الطريقة حقها، حيث أنها كانت كيانا سياسيا أكثر منه دينيا أو طرقيا.

المبحث الأول: التعريف بالحركة السنوسية

أولا: تعريف الحركة السنوسية

تعد الطريقة السنوسية من الطرق الصوفية الجليلة من الطرق الصوفية التي انتشرت انتشارا كبيرا في الشمال الإفريقي[1] وحتى الصحراء الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.[2]

يعود الفضل في تأسيسها إلى السيد محمد بن علي السنوسي، والذي يعد من دعاة التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي،[3] هذا الأخير الذي استقرّ به الأمر إلى تأسيس طريقة دينية اجتماعية عرفت باسمه(الطريقة السنوسية)، والتي هي مزيج بين الفقه والتصوف، ولقاء بين الشريعة والحقيقة، ومزاوجة بين النص والذوق، ففيها السلفية التي تعتمد براهين الكتاب والسنة وتنكر الوسائط، وفيها التصوف

---

[1]علي جميل الموصلي: **التحفة السنية في المشايخ السنوسية**، د ط، مطبعة سرسم، الموصل، 1331، ص 17.

[2]علي عبد اللطيف حميدة: **المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1998، ص121.

[3]أحمد صدقي الدجاني: **الحركة السنوسية نشأتها و نموها في القرن التاسع عشر**، دار البيان،ط1،لبنان،1967، ص34.

الشرعي الذي يقصد مجاهدة النفس وتزكيتها، فكانت طريقته مزيجا من الطريقة البرهانية والطريقة الاشراقية، مع ميل أكثر للبرهانية.[1]

ومما لا شك فيه محمد ابن علي السنوسي قد تأثر بدراسته الصوفية وقد بدئ ذلك جليا في تنظيم طريقته فالتقت مع بعض الطرق في بعض التقاليد مع الحفاظ على شخصيتها المستقلة.[2]

اذن فالسنوسية طريقة دينية محضة، وهي ليست طائفة مذهبية بل "أخوة"[3] فهي طريقة عمل بالسنة والشريعة بدون شرط ولا قصور، فهي طريقة عملية لا تعرف سوى العمل بالكتاب والسنة والاقتداء بسلف هذه الأمة،[4] ونقلا عن الحشائشي الذي يقول "يتحدث الشيخ بيرم في رحلته صفوة الاعتبار عن الطريقة السنوسية قائلا "...انتشار الطريقة السنوسية ... ترشد إلى طريق الشريعة المطهرة وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتثبت مبادئ علم الشريعة فبسبب ذلك زالت سطوة الجهل إذ انقعشت سحب الخوف وأمنت السبل وسلكت الخلائق مسلك الإرشاد إلى طريق الله ورسوله وصدت الناس عن فعل المحرمات والبغي ...".[5]

والواقع أن السنوسية ظلت طريقة سلفية على الدوام كما أنها مستقيمة "حنفية"، ففي بداياتها كانت طريقة تبشيرية بصورة أساسية، وذات هدف محدد هو دعوة الأعراب وساكني الصحراء والسودان، إلى فهم أوفى وأعمق لمعتقدات ومعاني الإسلام، وذلك باستعمال أسلوب الإقناع الهادئ.[6]

تعتبر الحركة السنوسية واحدة من حركات اليقظة العربية الإسلامية التي واجهت بها الأمة التحديات التي فرضتها عليها الأوضاع العامة للعالم الإسلامي [7]،حيث

---

(1)محمد عمارة: **تيارات الفكر الإسلامي**، دار الشروق، ط1، مصر،1991، ص ص 262-263.

(2)أحمد صدقي الدجاني: **المرجع السابق**، ص 245.

(3)ايفانز بريتشارد:**سنوسي و برقة**،تعر: عمر الديراوي أبو حجلة، تق: فضيل الهادي،مكتبة الفرجاني،ليبيا، ص ص 11-12.

(4)لوثرب ستودارد: **حاضر العالم الإسلامي**، تعر: عجاج نويهض، تعل: شكيب أرسلان، دار الفكر، ط4،1973، مج1، ج2، ص ص 140-143.

(5)محمد بن عثمان الحشائشي: **جلاء الكرب عن طرابلس الغرب**،تق و تح: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط4، بيروت،1965، ص149.

(6)ايفانز بريتشارد: المصدر السابق، ص 22.

(7)محمد عمارة: المرجع السابق، ص 271.

استطاعت الحركة السنوسية أن تكوّن جيلا قادرا على نشر الإسلام في أنحاء إفريقيا وفي نفس الوقت عملت على الانماء الاقتصادي
والاجتماعي وتشكيل كتائب الجهاد في سبيل الله [1]، فأهل هذه الطريقة كلهم علماء أدباء فضلاء أهل دين إسلامي، وحملة قرآن كريم ميالون للرقي والتمدن أصحاب إحساس نزيه وشعور لطيف لا تجد بينهم أميين إلا عددا ضئيلا لا يكاد يكون عشرة من مائة .[2]

ثانيا: مبادئ الطريقة السنوسية ومنهج دعوتها

أ-أسس ومبادئ الطريقة السنوسية

تميزت الطريقة السنوسية عن كثير من الحركات الصوفية الحديثة والمزامنة لها، مثل القادرية والتيجانية والشاذلية وغيرها، وقد برز ذلك من خلال المبادئ والأسس التي تقوم عيها الطريقة السنوسية والتي تقوم أساسا على:

-العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى.
-توحيد المذاهب.
-فتح باب الاجتهاد.
-نشر الإسلام في البلاد التي ينشر فيها.
-مقاومة النفوذ الأجنبي.[3]

فكانت من أهم أسس الطريقة السنوسية دعوة الناس كافة إلى الالتزام بالتعاليم الإسلامية الظاهرة والباطنة، لأن الجهل وقلة الالتزام بالدين انتشر بين المسلمين في تلك الحقبة، فكان تعليم الناس أهداف الشريعة هدفا أوليا سعت من أجله السنوسية حتى يحقق المسلم معنى إسلامه.[4]

---

[1] أنور الجندي: **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي**، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1983، ص ص 265-266.
[2] علي جميل الموصلي: المرجع السابق، ص 17.
[3] أنور الجندي: المرجع السابق، ص 262.
[4] محمد شلبي، عبد الله بن يوسف: **تطور الحركة السنوسية و مبادئها في ليبيا**، في "مجلة المقدمة"، المجلد 05، جامعة مالايا، يونيو 2017، ص 7.

كما سعت الطريقة السنوسية من خلال مبادئها إلى تحرير الفكر الإسلامي من التقليد الأعمى والتسليم العاجز وتطهير السنة المحمدية من الأقوال المشبوهة والأساطير الموروثة والطرق الصوفية المنحرفة الزاعمة بأن الإسلام ليس من شأنه الدنيا، و أن المسلم ليس له أن يهتم بالأمور المادية، وتخليص التصوف من الشطح والغلو والتواكل المميت لشخصية المسلم والذي يجعله يعتمد على غيره في كسب رزقه.[1]

فالطريقة السنوسية تجمع بين العمل الشرعي بحذافيره، والتجرد الصوفي إلى أقصى درجاته[2]، كما أن السنوسية لا تبيح الغلو في تقديس المشايخ الأحياء والأموات، ولا تأذن لأتباعها أن يذكروا ميتا عند قبره بغير الدعاء له والترحم عليه، ولكنها لا تمنع اللياذ بالمقامات للعضة و التبرك بها.[3]

وبذلك كان لها تنظيمها الخاص يختلف عن حركة التوحيد فقد قامت على التربية أساسا، ولم تلجأ إلى العمل السياسي إلا بعد وقت طويل وقد جمعت بين حركة التوحيد وبين منهج الحركة الصوفية، ومزجت بينهما دقة ومرونة، حيث حققت لأول مرة في العصر الحديث محاولة بناء الشخصية الإسلامية عن طريق التربية الإسلامية تأخذ من الفقه ما يثير العقول، ومن التصوف ما يصلح النفوس.[4]

أ- منهج الدعوة:

اتسمت الطريقة السنوسية بوضوح منهجها في الدعوة والإصلاح، وقد عمل ابن السنوسي على وضع منهج سار عليه شيوخ السنوسية وذلك من أجل توحيد المجتمع على كتاب الله وسنة رسوله

وحدة العقيدة: لقد أيقن ابن السنوسي تشكل أساسا مهما في البناء الفردي والاجتماعي والتي تصلح لجمع شتات المسلمين إذا كان منبعها كتاب الله وسنة

---

[1] أنور الجندي، المرجع السابق، ص 266.
[2] لوثروب ستوارد: المصدر السابق، ص 164.
[3] عباس محمود العقاد: **الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله**، نهضة مصر، دط، دت، ص 75.
[4] أنور الجندي: المرجع السابق، ص 263.

رسوله صلى الله عليه وسلم وأن طريق النهوض بالأمة لابد فيه من وحدة الصف وهذا لا يكون إلا بالسلام الصحيح الذي مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية.

تحكيم الكتاب والسنة: تأكد ابن السنوسي أنه لا عز ولا نصر، ولا فلاح في الدنيا ولا نجاة في الآخرة إلا بتحكيم كتاب الله وسنة نبيه، على مستوى الأفراد والجماعات،والقبائل، وحتى على مستوى الدولة، واسترشد ابن السنوسي فيما تقدم بقوله تعإلى: "فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول و إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا".سورة النساء، الآية 59.

صدق الانتماء إلى الإسلام: إن من أسباب جمع صفوف الأمة وتحقيق الوحدة بينها الدعوة إلى الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، والاعتزاز بالانتساب إلى هذا الدين.

طلب الحق والتحري في ذلك: إن طلب الحق و تحري ذلك يقوي وحدة صف العاملين لتحكيم شرع الله وهي من أهم صفات الربانيين الذين صفت نفوسهم وتطهير قلوبهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تحقيق الأخوة بين أفراد المجتمع: لقد أدرك ابن السنوسي أنه بتحقيق الأخوة بين القبائل،و أتباع الحركة, يتحقق التلاحم, ومتانة التماسك بين أفراد الحركة، كما كان على علم بأن الأخوة منحة من الله عز وجل للمخلصين من عباده، مما جعلهم يتمكنون من مجابهة الأخطار التي واجهتهم .[1]

ثالثا: خصائص الطريقة السنوسية

تختص الطريقة السنوسية عن غيرها من الطرق أنها تعتمد أساسا على التوافق مع الكتاب والسنة حيث ابن السنوسي في ذلك "فاعلم أن سبيل القوم إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجليل والحقير ... وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة". كما أن السنوسية تجمع بين الطريقتين البرهانية والاشراقية، فالأولى مبدؤها يدعو إلى "إتباع الأوامر واجتناب النواهي واقتباس الأربعة التي هي علوم الذات والصفات والحديث والدلات"، أما الثانية فمبدؤها يقوم على تصفية النفوس من

[1] محمد علي الصلابي: **الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا**،ج1،ط2001،1، ص ص 90-95.

الأكدار وتوجيهها نحو الحق لنهج المعارف والأسرار دون تعلم و لا تعليم من باب اتقوا الله ويعلمكم الله"، وفي أحيان كثيرة كانت تجسد مبادئها بإتباع سبيل الطريقة البرهانية.

تسعى الطريقة السنوسية لتحقيق مبدأ إقامة الصلة بين الفرد والرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، فالسنوسية تؤمن بإمكانية الاتحاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتهدف إلى تحقيق ذلك، كما يقول أحمد الشريف "...على متابعة السنة في الأقوال والأفعال والأحوال والاشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في عموم الأوقات"، ومن التقاليد السنوسية أيضا مناولة السبحة والحزب السلفي.[1]

ومن أهم خصائص الطريقة "الإمامة" و"الهجرة" و"الجهاد"، فالإمامة يقصد بها إتباع الإمام الحاكم ابن علي السنوسي، كما تدعو الطريقة السنوسية من يتبعها على الهجرة نحو الزوايا التابعة لها وذلك لأجل تعلم مبادئ الطريقة وفقا لأصولها الصحيحة، وأما الجهاد فكما هو من أساسيات الكتاب والسنة فهو أمر ضروري لأتباع الطريقة حيث أن هدف الجهاد في الإسلام إعلاء كلمة الحق، وصفته غير عدوانية بل دفاعية وذلك ما تسعى له الطريقة السنوسية[2].

رابعا: ظروف نشأة الحركة السنوسية

أحاطت بالطريقة السنوسية العديد من الظروف التي ساهمت في نشأتها وانتشارها ولعل أهمها:

- انتشار التفكك والانحلال في الدين والخلق في العالم الإسلامي، وكذا الضعف والتخاذل والوهن و المحن.
- استهداف البلاد الإسلامية من طرف الاحتلال الأجنبي، وتجلى ذلك في: فرنسا التي نصبت شباكها لاحتلال الشمال الإفريقي، وبريطانيا التي أخذت تتحفز لبسط نفوذها الاستعماري والعسكري على الأقطار الإسلامية والعربية في الشرق بعد أن بسطت نفوذها السياسي والاقتصادي على أكثرها بشتى الأساليب، وما آلت ايه مصر نتيجة استبداد سلطان المماليك ثم الاحتلال الأجنبي الفرنسي.

---

[1] أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص ص 245-249.

[2] نفسه، ص ص 249-255.

- ضعف الدولة العثمانية والتي تمثل الخلافة الإسلامية أدى إلى استيلاء محمد علي باشا على مصر وبسط سيادته الفردية عليها، وكان الإمام السيد محمد بن علي السنوسي يرى –فيما يراه-أن ضعف العثمانيين قد أدى بهم إلى التهاون ونتج عن ذلك احتلال الجزائر .[1]
- دخلت الأقاليم الإسلامية في حالة التدهور والانحطاط، فتفجرت الثورات بدوافع مختلفة، سواء بدافع العرق والقومية، أو دفاعا عن النفس ضد الجور، وقد أصيبت الايالات كالجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز وغيرها بالضعف والتفكك، وذلك بسب وهن مركز الخلافة الإسلامية.[2]

المبحث الثاني: مؤسس الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي (1202-1276ه)-(1787-1859م)

أولا: نسبه

تنسب الطريقة السنوسية لمؤسسها الشيخ سيدي محمد بن علي السنوسي، الحسني الخطابي الإدريسي، ابن العربي ابن محمد بن عبد العزيز، ابن شهيدة بن محمد بن يوسف، ابن عبد الله بن الخطاب، بن علي، ابن يحي، ابن راشد بن أحمد المرابط، ابن منداس ابن عبد القري، ابن عبد الرحمان، ابن يوسف، ابن زيان، ابن زين، ابن يوسف، ابن الحسن، ابن إدريس بن الخليل، ابن عبد الإله، ابن أحمد بن محمد، بن عبد الإله بن حمزة بن علي بن عمران، ابن إدريس، بن عبد الإله، ابن الحسن المثني، بن الحسن البسط، ابن فاطمة الزهراء، ابنة رسول الله سلم.[3] (أنظر الملحق رقم 01)

---

[1]محمد الطيب الأشهب: **السنوسي الكبير عرض و تحليل لدعمة حركة الإصلاح السنوسي**، مطبعة محمد عاطف،دط، القاهرة،دس،ص ص 11-12.

[2]علي محمد الصلابي: **تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا**،مكتبة الصحابة،ط1، الشارقة،2001،ص 12.

[3]محمد بن عثمان الحشائشي: المصدر السابق، ص 144.

وبذلك فمحمد بن علي السنوسي حسني النسب من السادة والأشراف والأعاظم،[1] فهو من سلالة الملوك الدارسة، الذين كان أول خلفائهم هو إدريس الأكبر بن عبد الكامل بن السيد الحسن المثنى ابن الإمام السيد حسن السبط، الذي هو أحد أحفاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الذي هو رابع الخلفاء الراشدين وزوج بنت النبي صلى الله عليه وسلم.[2]

يعود اسم السنوسي إلى قبيلة بني سنوس[3] والتي أصلها يعود إلى قبائل منطقة تلمسان التي نزل بها جده فانتسب إليها، واستقرّ هناك بجبل "أسنوس".[4]

ثانيا: مولده ونشأته

1- مولده:

ولد السيد محمد بن علي السنوسي الكبير بالمغرب الأوسط (الجزائر)[5]، كانت ولادته بضاحية "ميثا" الواقعة على ضفة وادي الشلف بمنطقة " الوسطة " التابعة لمستغانم الجزائرية مقر أجداده آل خطاب[6]،ولد يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة 1202ه،[7] الموافقة ل22ديسمبر1787م، وقد أثبت الرواة أنّ سبب تسميته "محمد" أنه ولد في نفس اليوم الذي ولد فيه جده الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم .[8]

2- نشأته:

---

[1]علي جميل الموصلي: المرجع السابق، ص 24.

[2]محمد فؤاد شكري: **السنوسية دين و دولة**، دار الفكر العربي، دط، 1948، ص 11.

[3]قبيلة بني سنوس: تقع على بعد 25كلم جنوب شرق مغنية، وهي قبيلة بربرية تقطن مرتفع مجرى وادي تافنة ومجرى وادي يعدل، ينظر هاشمي آمال: **دور الإدارة الفرنسية في تلمسان و ضواحيها ما بين1842-1897**، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران،2017-2018، ص 4 .

[4]عبد المنعم الحفني: **الموسوعة الصوفية**،دار الرشاد، ط1992،1، ص 210.

[5]أحمد نائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، دط، ليبيا، دت، ص 369.

[6]عبد المالك بن عبد القادر: **الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا**، دار الجزائر العربية، دط، دمشق، 1966، ص 7.

[7]محمد علي الصلابي: **الحركة السنوسية في إفريقيا**، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009، ص 21.

[8]محمد الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 8.

نشأ محمد بن علي السنوسي في بيئة صالحة، فقد كان أبناء البيت السنوسي كلهم أهل علم [1]،فقد كان والده العلامة السيد علي السنوسي لدى من تزامن معه من السلف بالصلاح والتقوى والورع، والبراعة الفائقة في الفروسية والرماية، كما كانت جدته السيدة الجليلة فاطمة جدة الإمام لوالده متضلعة بالعلوم الإسلامية (العقلية والنقلية)، وقد كانت عمته الفاضلة السيدة فاطمة الزهراء التي كفلته بعد وفاة والده من أشهر سيدات عصرها علما وعملا ودينا، كانت تشتغل بالتدريس والوعظ، ففي هذا الوسط الأهلي العلمي نشأ الإمام محمد بن علي السنوسي على ما كان سلفه الطاهر من المجد والفضيلة.[2]

ثالثا: تعليمه ومؤلفاته

1-تعليمه:

عمل السيد محمد بن علي السنوسي على إشباع ذاته بمختلف العلوم والمعرفة، فلم يترك وسيلة من وسائل التعليم إلا وقد تشبث بها،[3] كما أنه قد درس على عدد كبير من الشيوخ والعلماء، بالإضافة إلى أفراد عائلته السنوسية أمثال ابن عمه محمد السنوسي الذي علمه القرآن برواياته السبع وكذا العلوم الدينية والعربية،[4] جلس في العديد من الحلقات العلمية، فقد درس في بلدته مستغانم على يد السادة محي الدين بن شامة، ومحمد بن عبد القادر بن زوينة وعبد القادر بن عمور، ومحمد القندوز[5] الذي قتله حاكم الجزائر حسن بك سنة

(1)محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 11.
(2) محمد الطيب الأشهب :المرجع السابق،ص 9.
(3)محمد الطيب الأشهب : السنوسي الكبير، ص 10.
(4)محمد علي الصلابي : الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا،ص 23.
(5)محمد القندوز : قال عنه ابن السنوسي: " ... و من أجلهم وأسنهم وأفضلهم شيخنا وشيخ الجماعة بها وأحوزها وضواحيها و غالب قطرها العلامة الهمام المعمر البركة محمد بن القندوز-رحمه الله- أخذت عنه مختصر الخليل مرّتين قراءة و تحقيق و تدقيق معلقا بذهنه غالب الشروح المعهودة " و يعتبر الشيخ محمد بن القندوز أول من أدخل شرح المختصر للشيخ الدردير إلى المغرب . ينظر : عابد بن سالم :

1829، كما تلقى الإمام أيضا بعض علومه في "مازونة" عن العلامة الجليل السيد محمد بن علي الشارف المازوني والعلامة السيد أبي طالب المازوني، والسيد أبوراس المعسكري[1]،ثم سار هذا السيد المفضال لإتمام تعليمه في مدينة فاس وأخذ يسعى في تحصيل العلم [2] على يد كبار العلماء الأعلام منهم السيد حمودة بن الحاج والسيد الطيب الكيراني، والسيد أبي بكر الإدريسي والسيد محمد بن المنصور، والسيد محمد عمر الزروالي،[3] وعندما فرغ من تحصيل العلم باشر التدريس في جامعها الكبير الشهير، وهو لم يناهز الثلاثين من عمره.[4]

3-مؤلفاته :

كان لمحمد بن علي السنوسي العديد من المؤلفات منها ما هو مطبوع ومنها ما هو في حالته الأصلية أي بقي مخطوطا و نذكر

أ-المطبوع:

-بغية المقاصد وخلاصة المراصد.
-إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن.
-السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين.
-شفاء الصدر في أري المسائل العشر.
-الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية.
-مقدمة موطأ الإمام مالك.
-المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الحقائق.
-المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية.[5]

"ايقاظ الوسنان بالحديث و القرآن " للشيخ محمد بن علي السنوسي –دراسة و تحقيقا، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2019/2018، ص 36.

[1]محمد الطيب الأشهب : المرجع السابق، ص14.

[2]علي جميل الموصلي : المرجع السابق،ص 29.

[3]محمد الطيب الأشهب: نفسه، ص14.

[4]علي جميل الموصلي: المرجع السابق، ص 29.

[5]عادل نويهيض: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980، ص 179. محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، ص41.

ب-الغير مطبوع:

-الشموس الشارقة في معرفة أسانيدنا من المشارقة والمغاربة.

-البدور المسافرة: هذا الكتاب والذي قبله هما كتابان يختصان بالعلوم التي درسها الإمام وفي شيوخه الذين تلقى عنهم مختلف العلوم، وكذلك شيوخ الطرق الصوفية التي درسها، وهما على غرار كتابه المطبوع "السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين".

-رسالة جامعة من أقوال السنن وأفعالها: وهي منظومة توجد الآن بمكتبة الملك المعظم كتبها بخطه العلامة السيد محمد المبخوت التواتي رحمه الله.

-هداية الوسيلة في صاحب الوسيلة: منظومة شاملة وهي توجد في مكتبة جلالة ملك ليبيا وقد كتبها بخطه العلامة السيد محمد المبخوت التواتي رحمه الله .

-طواعن الأسنة في طاعني أهل السنة.[1]

رابعا : رحلته و وفاته

1-رحلاته:

كان محمد بن علي السنوسي شغوفا بطلب العلم، ولم يقتصر على بلده، بل توجه نحو مختلف أصقاع الأرض وذلك فقط لإشباع روحه المتعطشة لطلب العلم، وكانت مسيرته مليئة بالتحديات والفوائد.

بعد أن مكث السنوسي فترة من الزمن في فاس طلبا للعلم وتدريسه غادرها في سنة 1235ه/1819م، كان يرغب في أخذ العلم من علماء جدد، فرأى أن مكة المكرمة هي السرح الذي يتوفر فيه مطلبه، إلا أنه قبل ذلك اتجه من فاس إلى صحراء الجزائر بنية التعرف على أشهر الزوايا،[2] فتوجه نحو مدينة "الأغواط" الواقعة في الصحراء الجزائرية وهذه البلدة هي مفتاح الصحراء الكبرى وهي ملتقى هام لكل من يأتي من صحراء شنقيط ومن مراكش والجزائر[3]، حيث أنها محط القوافل ومنتهى الرواحل ومزار عظيم في تلك الأقطار التي يردها الخاص

---

[1]محمد الطيب الأشهب : السنوسي الكبير، ص 82.

[2]سعود دحدي : **البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931)**، رسالة ماجيستير، في التاريخ المعاصر(اوروبا-مغرب)،جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009-2010،ص 12.

[3]عبد المالك بن عبد القادر: المرجع السابق، ص 10.

والعام[1]، وقد مكث فيها مدة من الزمن يقوم بتلقين الأفراد علوم الدينية والفقهية، ومنها توجه إلى مسعد ثم إلى الجلفة وبوسعادة وقد كان قبلها قد عاد إلى مسقط رأسه مستغانم،[2] وعندا غادر السيد محمد بن علي بوسعادة مرّ ببلدة "تماسين" ثم زار "قابس" وطرابلس الغرب وبنغازي،[3] وفي كل من هذه المدن لم يشغل السيد نفسه بشيء غير الإرشاد والنصح والوعظ للمصلحة الإسلامية العامة.[4]

ثم سافر نحو مصر فضواحيها وقد كانت تحت سلطة محمد علي باشا، ثم ارتحل إلى مكة لزيارة بيت الله الحرام، لإتمام الركن الإسلامي الخامس، فوصلها، وقطن فيها مدة تولى فيها تدريس العلوم الدينية والعقائد الإسلامية، واجتمع بعلماء وأعلام كرام، وأخذ الإجازات عنهم، وعلى ما يحكي في كاتبه "السلسبيل المعين" أنه استخلف على أربعين شيخا كل واحد مهم أجازه في طريقته [5]،و من أبرز الذين ذكرهم اسم محمد بن محمد الدجاني الذي قال بأنه قد أخذ عنه العديد من الطرق الصوفية، الأستاذ أحمد بن إدريس الملقب بأبي عباس العرائشي والذي يقول بأنه وجد ضالته فيه.[6]

وقد رافق السيد الإدريسي إلى صبيا، ثم رجع إلى مكة بعد وفاة شيخه، أين قام بتأسيس زاويته الأولى في أبي قبيس سنة 1837م، وهو تاريخ نشأة الطريقة السنوسية وأتبعها بالعديد من الزوايا الأخرى في الطائف والمدينة المنورة وبدر وجدة وينبع. لكن بحلول 1840م غادر السيد السنوسي الحجاز متجها نحو مصر ومنها إلى طرابلس الغرب بطريق واحة سيوة و كان ينوي الذهاب إلى الجزائر ولما تيقن عدم امكانية الدخول لها[7]بسبب وقوعها في يد الاحتلال الفرنسي جعله

---

[1]علي جميل الموصلي: المرجع السابق، ص 30.

[2]سعود دحدي: المرجع السابق، ص 13.

[3]بن غازي: هي مدينة من برقة كائنة شرقي طرابلس و على الساحل الشرقي من خليج سدراته، تبعد عن طرابلس حوالي ستمائة و خمسين ميلا. ينظر: أحمد بك نائب الأنصاري :**المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، ص 287.

[4]محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 15.

[5]علي جميل الموصلي: المرجع السابق، ص ص 30-31.

[6]أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص 67.

[7]TruaudJean-louis :Lalégendre noir de la sanussiya : une confrérie musulman saharienne sous le regard francais 1840-1930 , La maison des sciences de Lhomme , paris , 1999 , tom1 , p47.

يتراجع عن هذه الفكرة [1] ثم سار إلى الجبل الأخضر[2] الواقع بالقرب من بن غازي وشيد فيه أيضا العديد من الزوايا، ثم انتقل من هناك إلى الجغبوب[3] وهي من ناحية الجبل الأخضر وشيد فيها أيضا ما شيده من الزوايا، وتحولت منطقة الجغبوب إلى أشهر مراكز الدعوة السنوسية .[4]

2- وفاته:

توفي السيد محمد بن علي السنوسي يوم الأربعاء 9 من صفر سنة 1276ه والتي توافق 7 سبتمبر 1859، عن سن تناهز الرابعة والسبعين ودفن بزاوية الجغبوب.[5]

3- أقوال المؤرخين في ابن السنوسي:

تحدث عدد من المؤرخين عن شخصية ابن السنوسي العظيمة و من أبرزهم:

بريتشارد: والذي قال عنه: "إن أحدا لا يستطيع انكار أن ابن السنوسي كان رجلا عظيما وأن ما حققه في حياته كان عظيما. ومما يقال عنه أنه كان طولا بين الرجال، وخطيبا مصقعا وإذا مظهر متميز، ومعلما حكيما. ويمكن تقدير شخصيته الدينية عندما نلاحظ أن عددا من الجزائريين والمراكشيين تأثروا إلى درجة عظيمة بشخصيته حتى أنهم غادروا أوطانهم وتبعوه في رحلاته، وأن بدو الجزيرة العربية وليبيا – الذين هم أناس غافلون غير مبالين – قبلوه مرشدا لهم من الناحيتين الدينية والزمنية. وكذالك أن قدراته الجسمية كانت ملحوظة، فقد درس بجد منذ كان صغيرا في المدارس

---

(1)نيقولا زيادة: **برقة الدولة العربية الثامنة**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1950،ص 42.

(2)الجبل الأخضر: ج

بل يمتد في سهول برقة الشمالية الساحلية من الغرب إلى الشرق على مسافة 400كم تقريبا، خصب الأراضي، كثير الأشجار، كثير ينابيع المياه، ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: **معجم البلدان الليبية**،مكتبة نور، ط1، ليبيا،1968، ص 95.

(3)الجغبوب: واحة صغيرة تقع إلى الجنوب من طبرق بنحو 28كم، وتقع على حدود سيوة الغربية وتحيط بها صحراء قاحلة قاتلة من الشمال والغرب والجنوب على مسافة 280كم من الشمال، ونحو 700كم من الغرب وتمتد في الجنوب إلى الكفرة وقد عثر على مقابر كثيرة مما يدل على أنها كانت مسكونة منذ العهد الرومي. ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: **معجم البلدان الليبية**، ص ص103-104.

(4)علي جميل الموصلي: المرجع السابق، ص ص 31-32.

(5)ناصر الدين محمد الشريف: **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا المالكية**، دار البيارق، ط1، 1999، ص 285.

القرآنية في موطنه الأول وفي الشمال الإفريقي والجزيرة العربية، واستمرّ مقبلا على المعرفة في مكتبته في جغبوب حتى وفاته. كما أنه علم في مدارس الجزائر ومراكش وتونس وطرابلس وبرقة ومصر والحجاز واليمن. وقد صرف أشهرا كثيرا من حياته في الأسفار مع قوافل الجمال البطيئة. وحجّ ثلاث مرات إلى مكة. وبالرغم من هذا النشاط الجم فانه وجد وقتا لكتابة عدد من الأبحاث، وقد بدأ مهمته كرئيس لنظام تبشيري جديد في وقت متأخر من حياته إذ كان في الخمسين إذ أوجد الزاوية الأولى في الجزيرة العربية...".[1]

نيقولا زيادة: والذي تحدث عن نجاح ابن السنوسي قائلا: " كان نجاح ابن السنوسي عظيما، ويمكن أن يقدر هذا النجاح بصورة أفضل إذا ما تذكرنا العقبات التي وقفت أمامه أو عمل ضدها. ومن المؤكد أن نجاحه يعود إلى شخصية قوية كانت علمية وروحية ومثالية ومتميزة عن رفاقه ومعاصريه ...".[2]

المؤرخ التركي أحمد حلمي: "... إن من يمعن النظر في عظمة المقصد وجلالته وفي قدرة الوسائط وفقدانها وجسامة المشكلات التي اقتحمها المؤسس وقاسها على الجمعيات الأوروبية والشرقية لا يمكنه إلا أن يقف موقف الدهشة أم عظمة هذا الرجل وبعد غور دهائه".[3]

الطيب الأشهب: والذي رأى في شخصية ابن السنوسي "أمة قوية لا يتطرق إليها الضعف والوهن فكان عدوا للجهل وخصما للاستكانة وضدا للأفكار العقيمة".[4]

المبحث الثالث: أهم أئمة الحركة السنوسية

أولا: محمد المهدي السنوسي 1260-1320ه، 1844-1902م

1- مولده:

---

[1] أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص ص 164-165.
[2] أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص 165.
[3] الطيب الأشهب: برقة العربية أمس واليوم، ص 178.
[4] نفسه، ص 177.

هو محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي، ولد في محل يسمى " ماسة " بالجبل الأخضر في ليبيا، في شهر ذي القعدة عام 1260ه الموافق لنوفمبر 1844م،[1] وأثناء ولادته كان ابن السنوسي (والده) بدرنة، وعند وصول بشرى مولوده الجديد أمر بأن يسمى المهدي بقوله "أسميناه المهدي ليحوز أنواع الهداية، ونرجو الله أن يجعله مهديا".[2]

2- نشأته:

نشأ محمد المهدي السنوسي في كلف أحد الإخوان السنوسيين، وهو عمران بن بركة الذي كلفه محمد بن علي السنوسي بتربية ابنه وتعليمه أمور الدين وفقا للكتاب والسنة، انتقل السيد المهدي إلى الحجاز رفقة العلامة محمد بن إبراهيم الغماري إلى الحجاز أين تولى والده مهمة تعليمه وإرشاده هناك،[3] ليرسله والده في ربيع الأول 1274ه الموافق لأكتوبر 1857م إلى الجغبوب لإتمام دراسته هناك.[4]

3- مبايعته:

عندما توفي ابن السنوسي في صفر عام 1276ه، كان محمد المهدي قد بلغ من العمر 16 سنة فقط، ورغم صغر سنه تمت مبايعته من طرف الإخوان السنوسيين، كان على رأسهم صهره وأستاذه عمران بن بركة وعلي بن عبد المولى،[5] والسيد عمر الأشهب وحسين الغرياني والسيد عبد الرحيم المغبوب وغيرهم من شيوخ ورؤساء الزوايا.[6]

4- انجازاته:

---

(1)محمد علي الصلابي: **سيرة الزعيم محمد المهدي السنوسي**، دار الروضة، ط1، 2017، ص 15.
(2)محمد الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 34.
(3)محمد علي الصلابي: نفسه، ص ص 16-17.
(4)محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 56.
(5)علي محمد الصلابي: سيرة الزعيم محمد المهدي السنوسي،ص 19.
(6)محمد الطيب الأشهب: **برقة العربية أمس و اليوم**،مطبعة الهواري، مصر،1947، ص 203.

شهدت الحركة السنوسية تطورا ملحوظا في عهد محمد المهدي، وقد برز ذلك جليا من خلال التزايد الكبير لعدد الزوايا السنوسية،كما ساهم في هذا التطور الأسلوب الذي اعتمده المهدي في تسيير شؤن الحركة، واهتمامه الخاص بالمجتمعات القبلية، خاصة وأن السيد المهدي كان يرى أن واجبه ولزاما عليه إتمام دعوة والده محمد بن علي السنوسي، وذلك باستعمال سماحة الأخلاق مما جعل للطريقة السنوسية مكانة خاصة في قلوب الإخوان والأتباع.[1]

قام محمد المهدي باستحداث مجلس أعلى للحركة السنوسية، كان ذلك المجلس يمثل قمة الهرم الذي قاعدته الزوايا، كان المجلس يجتمع سنويا في منطقة الجغبوب لمراجعة أمور الحركة، يترأسه محمد الشريف الذي هو شقيق محمد المهدي.

اهتم الإمام المهدي بتطوير العاصمة السنوسية الجغبوب، وقد اشتملت على العديد من النشاطات المختلفة سواء علمية أو عملية (تدريس القرآن، الأنشطة الزراعية، الأنشطة الصناعية ...).

كان محمد المهدي رجلا إداريا بامتياز، حيث كان يقوم على الشؤون الإدارية الخاصة بالزوايا السنوسية المنتشرة في أنحاء ليبيا كلها.[2]

لقد تحلى المهدي السنوسي بعلم وورع وتقوى و عزم شديد وحرص المهدي على إتمام ما باشره والده حتى ذاع صيته ودخلت عدة قبائل عربية في الحركة، وتمكن من بناء علاقات قوية مع الإمارات الإسلامية في واداي وبرقق، واختط خطة حكيمة كانت مبنية على الحيطة والحذر من النفوذ الصليبي الأوروبي في إفريقيا وعدم التردد في المكافحة إذا جد الجد، وواصل سيره في فتح المراكز الإصلاحية والمدارس القرآنية وبناء المساجد التي اهتمت بنشر الإسلام، وقام بإرسال الدعاة ومبشرين بالإسلام.[3]

ثانيا: أحمد الشريف 1290-1351ه، 1873-1933م

---

[1] علي محمد الصلابي: سيرة الزعيم محمد المهدي، ص ص 23-26.
[2] نفسه، ص ص 19-21.
[3] علي محمد الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ص 217.

1- مولده ونشأته :

هو أحمد بن محمد الشريف بم محمد بن علي الخطابي الإدريسي،[1] والدته كريمة ابنة العلامة عمران بن بركة، ولد بواحة الجغبوب ليلة الأربعاء 27 من شوال سنة 1290ه الموافقة ل1873م،[2] انكب منذ صغر سنه على العلم والقراءة، وحفظ القرآن في سن مبكرة، وقد تكفل عمه بتربيته وتهذيبه وهو في سن السادسة من عمره،[3] درس بزاوية الجغبوب وأخذ العلم عن مشايخها[4]، أمثال: الشيخ أحمد الريفي،[5] الشيخ محمد بن مصطفى المدني التلمساني، والشيخ عمران بن بركة، وقد رافق أحمد الشريف والده وعمه المهدي في رحيلهما إلى واحة الكفرة [6]سنة 1312ه، وعاد والده من الكفرة إلى الجغبوب وأمر أبه أحمد بالبقاء مع عمه المهدي في الكفرة، وقد توفي والده بالجغبوب يوم 27 من شهر رمضان سنة 1313ه.[7]

وفي سنة 1217ه ارتحل أحمد الشريف مع عمه المهدي مرة أخرى إلى منطقة قورو بالسودان الأوسط، في مهمة دعوة الناس وتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي، وألف أحمد الشريف كتابا يتحدث فيه عن هذه الرحلات أسماه "السراج الوهاج في رحلة سيدي المهدي من الجغبوب إلى التاج".[8]

2- تولي أحمد الشريف القيادة:

---

[1]علي محمد الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ص 215.

[2]الطاهر أحمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، دار الكتب الوطنية، ط3، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 79.

[3]مصطفى هويدي: **الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى**، منشورات مركز دراسات جهاد الليبين، طرابلس، 1988، ص ص 21-22.

[4]الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، ص 79.

[5]أحمد الريفي: من أجل رجال الطريقة السنوسية، ولد في 1244ه، وهو ينتسب للشرف الحسني، وكان انتسابه للسيد السنوسي بعد 1965ه، نبغ في مختلف العلوم العقلية والنقلية. ينظر: محمد الطيب الأشهب: برقة العربية أمس واليوم، ص 169.

[6]الكفرة: هي مجموعة واحات في صحراء ليبيا، تقع بين خطي العرض 23°و 26° شمالا، وخطي طول 21°و 24°شرقا، وتقع في الجنوب من مدينة بن غازي بنحو 990كم، وتقع شرقي واو الكبير من أراضي فزّن وجنوبي جالو بنحو 615كم. ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان، ص 292.

[7]مصطفى هويدي: المرجع السابق، ص 22.

[8]مصطفى هويدي: المرجع السابق، ص22.

عندما أحسّ محمد المهدي بدنو أجله أوصى بأن يكون أحمد الشريف هو خليفته، خاصة وأن أكبر أنجال الإمام المهدي الذي هو السيد محمد إدريس كان صغيرا في السن ولم يتجاوز الثالثة عشر من عمره، يخلف أحمد الشريف عمه على أن يكون وصيا شرعيا على ابن عمه محمد ادريس الذي يعتبر الخليفة الشرعي لمحمد إدريس، وقد كان السيد أحمد الشريف يبلغ حينها من العمر ثلاثين عاما.

اجتمع كبار الإخوان السنوسيين بالكفرة في تاريخ 12 ربيع الأول 1320ه الموافقة لـ 19 يونيو 1902م، وذلك بعد ثلاثة أسابيع من وفاة السيد محمد المهدي، وقد كان من أولى أوليات السيد أحمد الشريف مواصلة ما باشر به عمه المهدي خاصة مواجهة الفرنسيين والتصدي لهم، وقد كان يدير شؤون الحركة من واحة الكفرة التي كانت مركزا للحركة في عهده.[1]

في سنة 1911م وقع اعتداء الطليان على ليبيا، فتولى السيد أحمد الشريف الجهاد ضد العدو الجديد،[2] تقدم للجهاد واجتمع الناس عليه، وناصب العداء للطليان وحاربهم حربا لا هوادة فيها، ولم يتراجع عن مبادئه الجهادية ولو للحظة رغم المحاولات العديدة التي قام بها الطليان للتفاوض معه[3].

وفي عام 1918م تخلى أحمد الشريف عن زعامة الحركة، وباعتزاله انتقلت الزعامة إلى ابن عمه الأمير محمد إدريس،[4] وانتقل إلى الحجاز وبقي هناك إلى أن وفاته المنية في 1933م.[5]

تعتبر الطريقة السنوسية من أهم الحركات الإصلاحية التي ظهرت في القرن 19، قام بتأسيسها محمد بن علي في 1843م، وقد كان مبدأ الطريقة الأساسي هو العودة إلى المنع الأصلي للدين الإسلامي أي العودة إلى الكتاب والسنة، وكذا فتح

---

[1] محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص 96-98.
[2] مصطفي هويدي: المرجع السابق، ص ص 23-24.
[3] الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا، ص 79.
[4] محمد إدريس السنوسي: هو محمد ادريس المهدي، ولد بزاوية الجغبوب في 20 رجب 1307ه الموافق لـ12 مارس1896م، كفله ابن عمه أحمد الشريف بعد وفاة والده المهدي، حفظ القرآن الكريم وهو في سن السابعة من عمره، من شيوخه: أحمد أبي سيف، العربي الغماري، حسين السنوسي. ينظر: محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، ص 183.
[5] نيقولا زيادة: برقة الدولة العربية الثامنة، ص 45.

باب الاجتهاد، والدعوة إلى مواجهة الأخطار التي أصبحت تهدد العالم الإسلامي في فترة لاحقة، وقد سعى السيد محمد بن علي الخطابي الإدريسي جاهدا إلى تجسيد أفكاره الإصلاحية من خلال طريقته الخاصة والتي تميزت باعتمادها على الكتاب والسنة وذلك لتنقية الإسلام من الشوائب التي طالته مع مرور الزمن، وتوليه زعامة الطريقة وإنشائه للزوايا الخاصة بطريقته في مختلف الأقطار لم يمنعه من ترك آثار علمية له عديدة من مؤلفات منها ما طبع ومنها ما هو في شكل مخطوط إلى الآن،وقد سار على نهجه أبناء عائلته أمثال محمد المهدي وأحمد الشريف السنوسي.

الفصل الثاني

الفصـــل الثاني

علاقة الطريقة السنوسية بالمجتمع من خلال نشاط الزوايا

تمهيد

المبحث الأول: الزوايا السنوسية

المبحث الثاني: النشاط التعليمي للزوايا السنوسية

المبحث الثالث: النشاط الاجتماعي للزوايا السنوسية

خلاصة

تمهيد:

تعتبر الزاوية المنبع الرئيسي للإرشاد والإصلاح، فقد اعتمد عليها مؤسس الطريقة السنوسي في تطبيق أفكاره وتجسيدها على أرض الواقع، وبذلك فهي التطبيق العلمي لأفكار ابن السنوسي، فقد كانت للزوايا السنوسية دورها الخاص والبارز في تكوين مجتمع قوي وأمة صالحة، حيث كان لهذه الزوايا نظامها الخاص وضوابط خاصة، سمحت لها بأن تكون لها أدوار تعليمية واجتماعية وحتى اقتصادية في بعض الأحيان، فهي بمثابة همزة الوصل بين الأفراد والطريقة الصوفية (السنوسية)، والدليل على ذلك الانتشار الكبير للزوايا السنوسية في مختلف الأقطار الليبية.

المبحث الأول: الزوايا السنوسية

أولا: تأسيس الزوايا

لا يمكن اعتبار الطريقة السنوسية طريقة دينية صوفية روحية فحسب، إنما هي أسلوب وطريقة حياة بمختلف نواحيها،[1] وذلك من خلال اتخاذ محمد بن علي السنوسي لـ " الزاوية " [2]كوسيلة لتحقيق أهدافه الاصلاحية والتي كان أساسها تكوين نواة مجتمع قوي ونشر الإسلام في البلاد التي لم يصلها من قبل، وبالتالي فالزاوية هي التطبيق الفعلي للنظام الإصلاحي لابن السنوسي.[3]وقد أفصح السيد محمد بن علي السنوسي عن الهدف الرئيسي للزوايا السنوسية في رسالة بعث بها إلى مصطفى باشا حاكم فزان[4] بقوله: "...والزاوية في الحقيقة إنما هي بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده، والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر

---

[1]نيقولا زيادة: **إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**، دار رياس للكتب والنشر، 1991،ط1، ص 249. نيقولا زيادة: **برقة الدولة العربية الثامنة**، ص48.

[2]الزاوية: وتعني في اللغة العربية الركن، وحين اتخذ أهل التصوف هذه الكلمة وضموها إلى مفرداتهم، عنو بها الخلوة أو مكان الاختلاء بأنفسهم أو مع مريديهم أو تلاميذهم في ركن من مسجد القرية أو المدينة، فينعزلون فيه للصلاة ودراسة الطريقة والفقه واللغة. ينظر: تيسير بن موسى: **المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني**، الدار العربية للكتاب،دط، ليبيا، 1988، ص 79.

[3]أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص 236.

[4]فزان: أحد أقسام المملكة الليبية الثلاثة طرابلس وبرقة وفزان، وهي عدة واحات وقعة جنوبي طرابلس بنحو 970 كم، وأصلها من مواطن البربر، ولها ذكر في التاريخ القديم. ينظر: الطاهر الزاوي: معجم البلدان، ص 248.

بها البلاد، ويحصل بها النفع لأهل الحظر والبادية، لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن، ولنشر شريعة أفضل ولد العدنان".[1]

ومما يلفت الانتباه أن الزوايا التي أقامها السنوسيون كانت عبارة عن خلايا تمتد هنا و هناك،

وتنطلق منها الحياة الصالحة للأمة الإسلامية، وساهمت في توجيه الحياة العامة توجيها سديدا، فأصبحت بذلك مراكز للإصلاح الإنساني، فكانت زاوية "أبي قبيس [2]"التي أسسها محمد بن علي السنوسي في مكة المكرمة 1252ه/1837منطلق الدعوة السنوسية، وفي 1256ه/1842م أسس الزاوية البيضاء في برقة[3] ولقبت ب " أم الزوايا" لأنها أول مركز للدعوة السنوسية في ليبيا، لتنتشر بعد ذلك الزوايا السنوسية في مختلف أصقاع العالم الإسلامي .[4]

1-موقع الزوايا:

تميزت الزوايا السنوسية عن غيرها من الزوايا الأخرى من حيث الشكل والمضمون أي من حيث مواقعها وبناؤها، ومن حيث تنظيمها ورسالتها، فهي تعد

---

[1]محمد الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص ص 142-143. علي محمد الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية، ص ص93-94.

[2]أبي قبيس: هو اسم الجبل المشرف على مكة المكرمة وجهه إلى قعيقعان ومكة، وقيل سمي على رجل من مدحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة . ينظر: ياقوت الحموي : **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977،المجلد1،ج1، ص 80.

[3]برقة : تطلق على المنطقة الواقعة بين عقبة السلوم شرقا، و حدود طرابلس غربا،في مكان يقال له المقطاع حيث يوجد القوس الذي بناه الايطاليون سنة 1929م،و هذه حدودها منذ أن كانت تابعة للإغريق قبل الميلاد و بعده . ينظر : الطاهر الزاوي :معجم البلدان، ص 56.

[4]سعود دحدي: المرجع السابق، ص 23.

ركيزة نظام الحركة السنوسية وهي التطبيق العلمي لأفكار الشيخ السنوسي المؤسس التي دعا إليها،[1] فقد كانت لمواقع الزوايا السنوسية فلسفة تحكمها.[2]

عند بناء الزاوية كانت تأخذ بالحسبان وبالدرجة الأولى العوامل السياسية والاقتصادية والإستراتيجية،[3] فمن الناحية السياسية انتشرت الزوايا السنوسية في الدواخل أكثر من انتشارها في المناطق الساحلية، ويعود سبب ذلك إلى أن السلطة العثمانية كانت في المدن الساحلية ويقل نفوذها في الواحات الداخلية،[4] وعلى هذا الأساس اختار ابن السنوسي المناطق الصحراوية ليقيم فيها الزوايا تحاشيا لأي صدام يقع بين السنوسيين وبالعثمانيين، وفي هذا الصدد أوضح السيد السنوسي الغرض من بنائه لهذه الزوايا في رسالته إلى المشير "محمد أمين باشا " وإلى طرابلس الغرب بقوله: "وأما نحن فقد ألفنا ما اعتدناه ورضيت به نفوسنا فنريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة ونفوسها سكانها مستقرة، ليحصل المقصود منها ويدوم من تعلم العلم وتعليمه وإقراء القرآن وتفهيمه، وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها".[5]

ومن الناحية الاقتصادية، فكانت الزوايا تشييد على الطرق الرئيسية للقوافل التجارية[6]، وكان هناك ثلاثة طرق رئيسية في الأراضي الليبية الأول هو الممتد جنوبا إلى واحات فزان وبحيرة التشاد، والثاني الممتد نحو الجنوب الغربي مارا بغدامس و غات إلى "تمبكتو"، والطريق الثالث هو الممتد نحو الجنوب الشرقي مارا بواحات جيفارا عن طريق "سوكنة" و "زيللا" إلى "وادي" و "درفور"

---

[1] صالح بوسليم، ميلود ميسوم: صالح بوسليم، ميلود ميسوم : **الحركة السنوسية و امتدادها عبر الصحراء الكبرى دراسة تاريخية**،في الواحات للبحوث و الدراسات،العدد 15، جامعة غرداية، 2011، ص 21.

[2] محمد عمارة: المرجع السابق، ص 265.

[3] نيكولاي ايلتشين بروشين،**تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين**، تر و تق : عماد حاتم،2،دار الكتب الجديدة المتحدة، 2001،ط2، ص 325.

[4] مصطفى بعيو: **دراسات في التاريخ اللوبي**، الجمعية التاريخية لخريجي كلية الآداب، د ط، القاهرة، 1953، ص 59.

[5] رأفت الشيخ: **تاريخ العرب الحديث**، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1994، ص ص 343-344.

[6] نيكولاي بروشين: المصدر السابق، ص 325.

والسودان الغنية بمواردها،[1] وقد عمد الشيخ السنوسي أن تشيد الزوايا في الطرق التجارية لاستغلال النشاط التجاري لها، مما كان له أثر كبير غير مباشر في زيادة الثروة الاقتصادية للبلاد، وحتى أنه كانت تراعى خصوبة الأراضي ووفرة الآبار في المناطق التي تقام عليها الزاوية، لأنه من أهم وظائف الإخوان السنوسيين الزراعة وخدمة الأرض، فقد كانت الزوايا السنوسية عبارة عن وحدة انتاجية،[2] وقد قال في هذا الصدد شكيب أرسلان: "وأغلب الزوايا يختار لها أجمل البقاع وأخصب الأراضين، وفيها الآبار التي لا تنزع من كثرة مائها".[3]

أما من الناحية الإستراتيجية، فان الزوايا السنوسية كانت تقام على مناطق مرتفعة حصينة،[4] والملاحظ أن كثيرا منها كان يقوم على أنقاض الأطلال الإغريقية والرومانية أو على مقربة منها حتى يمكن الاستفادة منها في عملية التشييد،[5] كما أن ابن السنوسي اتبع في إنشائه للزوايا نظاما خاصا، يدل على الأهمية العسكرية للمواقع الخاصة بالزوايا، بحيث اختار مواقع استراتيجية وتبعد كل زاوية عن الزاوية التي تجاورها مسافة ست ساعات، ثم أنشأ خلفها زوايا مقابلة لها تبعد عن بعضها بالمسافة نفسها، حتى إذا هوجمت الزوايا الأمامية يستطيع الإخوان الانتقال إلى الزوايا الخلفية، بمعنى آخر فان ابن السنوسي تمكن من أن يشكل من الزوايا خطوط دفاعية متتالية يساند الخط الثاني الخط الأول ويساند الخط الثالث الخط الثاني.[6]

كانت الزوايا تبنى بعد الاتفاق بين أفراد القبيلة التي ترغب في تشييدها وابن السنوسي، حيث يتم اختيار قطعة أرض مناسبة، وتكون تكاليف البناء في غالب

---

[1] الآنسة توليلي: **عشر أعوام في طرابلس**، تر: عبد الجليل الطاهر، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، 1967، ص 31.

[2] جلال يحيى: المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، دط، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966، ص851.

[3] نيكولاي بروشين: المصدر السابق، ص 325.

[4] رأفت الشيخ: المرجع السابق، ص 345.

[5] مصطفى بعيو: المرجع السابق، ص 58.

[6] عطية الويشي: العثمانيون بطرابلس الغرب: جدلية العلاقة بين المجتمع والدولة(958-1330ه/1551-1912م)، في العربية للعلوم الإنسانية العدد 140، جامعة الكويت، خريف 2017، ص140.

الأحيان من تبرعات الأهالي، حتى أنا الأهالي هم من يتولون عملية البناء والعمارة.[1]

2-**المكونات المادية و البشرية للزوايا السنوسية**:

للزوايا السنوسية نظام خاص بها، وهيكل مميز عن باقي الطرق الصوفية الأخرى، وذلك من حيث البناء الخاص بها، وكذا المؤهلات البشرية التي تضمها هذه الزوايا.

أ-المكونات المادية: ونقصد بذلك الهياكل المادية المشكلة للزاوية وهي:

-المسجد :تقام فيه الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة.

-المدرسة القرآنية: مختصة بتحفيظ القرآن.

-المعهد الديني: تدرس فيه مختلف العلوم الإسلامية لمن أتم حفظ القرآن في مرحلة سابقة، و يعد للالتحاق بالأزهر الشريف في مرحلة عالمية.

-الخلوة: ويقصد بها المساكن المخصصة للطلبة الغرباء الوافدين إلى الزاوية بهدف التعلم .

-المكتبة : وللمكتبة أهميتها البالغة لما تحتويه من كتب، فقد احتوت مكتبة زاوية الجغبوب على ثمانية آلاف مجلد في الفقه الإسلامي والتاريخ، وتفسير القرآن والأدب، وعلم الفلك .[2]

كما تحتوي الزاوية على منزل خاص يعيش فيه شيخها، ومباني خاصة لنائب الشيخ والمعلم، ومساكن للخدم ومستودعات للمؤن واصطبل وحوانيت،بالإضافة إلى مباني خاصة قام أصحابها الميسورين الحال ببنائها بالقرب من الزاوية على اعتبار أن الأرض التي تقام فيها الزاوية أرضا مقدسة وتسمى حرما، وتتبع للحرم أيضا الأراضي المزروعة وآبار المياه و البساتين المحيطة بها.[3]

ب- **المكونات البشرية**: ونقصد بذلك أهم الأفراد الذين يشكلون البنية الأساسية للزاوية ووظائفهم وهم:

---

(1) سعود الدحدي: المرجع السابق، ص 24.

(2)محمد البهي : **الفكر الإسلامي في تطوره**، دار التضامن للطباعة،ط2، القاهرة، 1981، ص 95. ناصر الدين شريف : الجواهر الاكليلية في أعيان علماء المالكية ، ص 283. أنور الجندي،العالم الإسلامي و الاستعمار السياسي و الاجتماعي و الثقافي،ص ص 262-263.

(3)نيكولاي بروشين : المصدر السابق، ص 325.

- مقدم الزاوية: وهو المسؤول الأول عن الزاوية، ويقوم بتوجيه الأهالي.[1]
- شيخ الزاوية: وهو المشرف على التعليم ويعين من طرف رئيس السنوسية، وكان يراعي في اختياره في غالب الأحيان رغبات أهل القبيلة نفسها على أن لا يتعارض ذلك مع انتقاء أفضل رجل للقيام بهذه المهمة، لأنه هو صاحب الحل والعقد في الزاوية .[2]
- وكيل الزاوية: وهو بمثابة نائب للمقدم، يشرف على شؤون الإدارة و المال و الاقتصاد.[3]
- مجلس الخواص: يتكون من وكيل الزاوية وشيخ وأعيان القبيلة المرتبطة بها ووجهاء المهاجرين إليها، ذلك انه كان لكل قبيلة زاوية أو أكثر، وينظر المجلس في قضايا الأهالي [4].
- الإخوان: وهي لفظة تطلق على كل إنسان أخذ الطريقة السنوسية وتمسك وبوردها، ويقال فلان من الإخوان يعني سنوسي الطريقة .[5]

ثانيا: أهم الزوايا السنوسية و عواصمها

1-أهم الزوايا:

قام الإمام محمد بن علي السنوسي بتأسيس العديد من الزوايا في مختلف الأصقاع الليبية من أبرزها:

- الزاوية البيضاء: وهي أول مركز رئيسي في ليبيا، أنشأت سنة 1257ه/1842م، شيخها هو العلامة السيد محمد بن الفلالي.[6]
- زاوية مارة : تأسست في برقة، وشيخها هو السيد عمر الأشهب.
- زاوية درنة : ببرقة، وكان أول شيوخها السيد عمر الأشهب.

---

[1]جميل بيضون، شحادة الناطور و آخرون: **تاريخ العرب الحديث**، دار الأمل للنشر و التوزيع،ط1، 1990، ص 150.

[2]نيقولا زيادة: إفريقيات، ص 250.

[3]جميل بيضون: المرجع السابق، ص ص 150-151.

[4]علي المحافظة: **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة**، الأهلية للنشر و التوزيع،دط، بيروت، 1987،ص 58.

[5]الحشائشي: المصدر السابق، ص 174.

[6]محمد الفيلالي :من المغرب، كان من رفقاء ابن السنوسي، تولى أعمالا كثيرة منها رئاسة مجلس الاخوان في برقة . ينظر: علي محمد الصلابي: الحركة السنوسية في ليبيا،ج1،ص ص 100-101.

- زاوية الجوف: بواحة الكفرة، وقد عهد الإمام الأكبر بتشييدها إلى كل من الحاج مصطفى أبو شيادة والحاج محمد أبو حليقة، عقيلة الحليق.
- زاوية قفنطة: ببرقة، كان أول شيوخها هو السيد مختار بن عمور.
- زاوية شحات: أنشئت عام 1261ه/1845م ببرقة، وأول شيوخها هو العلامة السيد مصطفى الدردفي.
- زاوية العرقوب: ببرقة، كان أول شيخ لها هو السيد محمد الجبالي .
- زاوية المسوس: ببرقة، تولها في البداية بالوكالة الشيخ فهيد العاقوري، وكان أول شيوخها هو السيد أحمد علي أبو سيف.
- زاوية بنغازي: ببرقة، وتولى مشيختها كل من السيد عبد الله التواتي[1]والسيد عبد الرحيم بن أحمد المحبوب، محمد أبو قاسم العيساوي .
- زاوية مرزق:[2] بفزان، وكان أول شيوخها هو الشيخ الجليل أحمد أبو قاسم التواتي.
- زاوية هون: بواحة الجفرة،[3] وكان أول من تولى مشيختها هو الشيخ أحمد بن علي بن عبيد.
- زاوية مزدة : بطرابلس، كان أول شيوخها هو السيد عبد الله السني .
- زاية طبقة : بطرابلس، كان أول شيخ يترأسها هو السيد محمد الأزهري .
- زاوية تازبور :في واحات الكفرة، و كان من بين من تولى مشيختها العلامة محمد المدني[4] .
- زاوية ربيانة :بواحات الكفرة، و كان أول شيوخها هو الشيخ حسين بازامة.[1]

---

[1]عبد الله التواتي: هو من أوائل إخوان ابن السنوسي وتلاميذه وقد كلفه بعدة مهام في كل من الحجاز واليمن وليبيا، وقتل في الحجاز و دفن بزاوية بدر. ينظر علي محمد الصلابي: الحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ص92.

[2]مرزق: هي عاصمة بلاد فزان في العهد التركي، تقع جنوب غربي سبهة بنحو 145كم و تقع في الجنوب إلى الشرق من مدينة طرابلس بنحو 775كم و1115على طريق مصراتة .ينظر الطاهر الزاوي : معجم البلدان الليبية، ص 310.

[3]الجفرة: الجفرة سعة في الأرض مستديرة،و قد أطلقها الطرابلسيون على ودّان وزلّة وما جاورها من الواحات .ينظر: الطاهر الزاوي : معجم البلدان الليبية، ص 107.

[4]محمد المدني: من تلمسان، التحق بابن السنوسي بالحجاز عام 1267ه، تولى أعملا كثيرة في الحركة منها تعليم القرآن، وإلقاء الدروس والإشراف على شؤون الطلبة والعمال،في الجغبوب .ينظر: علي محمد الصلابي: الحركة السنوسية في ليبيا،ج1، ص 99.

2-عواصم الزوايا :

بعد أن كانت زاوية أبي قبيس هي العاصمة الأولى للطريقة السنوسية، انتقلت الرياسة إلى الجغبوب في (1856-1895م)، ثم انتقل العاصمة إلى الكفرة وذلك بعد تحول السيد المهدي إليها (1895-1898م)، ثم صارت العاصمة هي قورو(1898-1902م) بعد انتقال السيد المهدي أليها[2]،لتعود بعد ذلك الرياسة إلى الكفرة بعد عودة العائلة السنوسية من السودان، وللجغبوب وللكفرة المكانة الأولى بين جميع الزوايا في برقة و خارجها.[3]

- **الجغبوب**: كان هاملتون قد زارها في العاشر من أكتوبر 1852م واصفا موقعها " لقد بلغنا بلاد ذات تلال رائعة و أشار خروب جميلة و قديمة والعديد من الآثار و هنا يوجد الزاوية الأم أو محفل المرابطين السنوسيين المسمى سيدي رفاعة و هي ما زالت قيد التشييد و هي بناء رئاسي للبلاد أما الآثار المحيطة بها فتوفر مادة البناء " [4]، و هذه هي زاوية الجغبوب التي أقيمت على مقربة من ضريح سيدي رافع بن ثابت الأنصاري، والخطأ كما يلاحظ في ما رواه هاملتون هو نسبه للزاوية لهذا الولي الصالح .[5]

تم الانتهاء من تشييدها في سنة 1856م، و كانت من أهم المركز السنوسية، وذلك لإستراتيجية موقعها[6]، فهي تقع في مركز متوسط بين برقة وطرابلس و السودان الغربي.[7](أنظر الملحق رقم 02)

لقد كان تحول الشيخ السنوسي إلى الجغبوب على بعد مسيرة اثنين وثلاثين يوما من بنغازي له دواعي عديدة منها الإستراتيجية البحتة ومنها الدعوية، فالإستراتيجية تتعلق برغبته في الابتعاد عن السواحل حتى لا تكون دعوته ومؤسسته عرضة لهجمات أعدائه فكان مقصد الجغبوب طلبا للمنعة، أما الدعوية فهي رغبته في الاحتكاك بأهل البادية لصفاء سرائرهم ونقاء فطرتهم ونشر الدعوة

---

(1)الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص ص 33-36.
(2)ناصر الدين محمد الشريف: المرجع السابق، ص 283.
(3)الطيب الأشهب:برقة العربية أمس و اليوم، ص 240.
(4)James Hamilton : wanderings in northafrica،london، 1856، p 122 .
(5)محمود براهم : العلاّمة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا و مجاهدا 1788-1859، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2009، ص 179.
(6)نيكولاي بروشين: المصدر السابق، ص 324.
(7)جميل بيظون، شحادة الناطور و آخرون : المرجع السابق، ص 151.

في أوساطهم وكان ذلك لزاما لأن تتوسع الدعوة جنوبا وليس شمالا لأن البحر أمامها. وربما أن من أسباب اختيار الجغبوب أيضا وقوعها في ممر القوافل بحيث شكلت نقطة تواصل بين الأقطار الإفريقية في الشمال والجنوب مما سهل له نشر دعوته في الأقاليم السودانية ومن أهمها مملكة " الواداي " والتي كان سلطانها يكن عميق الاحترام والإجلال للشيخ السنوسي ولا يقدم على صغيرة ولا كبيرة دون استشارته.[1]

قام الإمام السنوسي بالعديد من الدراسات حول منطقة الجغبوب قبل الانتقال إليها، وبعد أن أسفرت دراساته عن اختيار موقع الجغبوب، فوض لتلميذه ووكيل خاصته علي بن عبد المولى[2] تخطيط زاوية الجغبوب لاسيما الضروري من الأماكن المطلوب انجازها بسرعة، وانتظمت القوافل لنقل الماء والأمتعة ولوازم البناء من زاوية العزيات، وعندا انتقل إليها السيد السنوسي كان الجزء الكبير من الهياكل قد تم الانتهاء من تشيده، على غرار مسكن الامام و المسجد و المدرسة القرآنية، و الأفران التي تسد حاجة السكان. بالإضافة إلى بعض محلات الصناعة الخفيفة التي اهتم بها الامام السنوسي كصناعة الأحذية والحدادة وتجليد الكتب، وحتى أنه تم تشييد مصنع خاص بالبارود، والذي كان يستخرج من نوع خاص من التراب المتوفر في برقة .

وهذه التحضيرات لم تتم كلها في عهد الامام الأكبر محمد بن علي السنوسي الذي وضع الأساس كاملا فقد تمّ قسم منها في عهد خليفته الأول السيد محمد المهدي السنوسي الذي رغم مغادرته للجغبوب إلا أنه واصل التشيد والبناء في سرح هذه الزاوية .[3]

و يذكر نابليون ناي عن زاوية الجغبوب :" إن الزاوية التي تأسست بجغبوب سنة 1861 تمثل محفلا كبيرا ومحصنا بني بشكل جيد في الاقليم التركي في ولاية طرابلس جنوب غرب على بعد مسيرة يومين من واحة سيوة، لقد كانت جغبوب

---

[1] محمود براهم: المرجع السابق، ص 180.

[2] علي بن عبد المولى: أحد أوائل رفاق الامام الأكبر، صحبه من بلاده سفاقس ولم يتخلف عن مصاحبة الامام طوال حياته، وكان بمثابة الوكيل الخاص، واستمرّ في نفس المنصب في عهد الخليفة محمد المهدي. ينظر: الطيب الأشهب : السنوسي الكبير، ص 59.

[3] الطيب الأشهب : السنوسي الكبير، ص ص 46-48.

قاحلة جرداء قبل بناء الزاوية فبدا المهدي بحفر الآبار فيها وإنشاء مزارع وبناء عمارات وفي سنة 1874 لم يعد المحفل يحتوي سوى على القليل من الطلبة".[1]

ويقول "دوفرييه " عن الجغبوب والتي يسميها جغابيب " وفي هذه الأثناء فانّ السنوسية موجودة بالجبل الأخضر (برقة) و هي قريبة جدا أيضا من العثمانيين في بنغازي ومن القناصل الذين يقيمون فيها و قد أسسوا زاوية جديدة في جغابيب (الجغبوب) وسط صحراء تقع إلى الشمال قليلا من الطريق القادم من سيوة إلى أوجلة، و لا يوجد في الجغبوب سوى بئر واحد ماؤه مر. وقاموا بحفر آبار جديدة في واد وسط الفلاة وقامت الزاوية في هبة واحدة في ربيع 1861 بغرس النخيل في أراضيها ..." .[2]

-الكفرة : كانت خطة توسع الحركة السنوسية تستدعي من زعيمها محمد المهدي الانتقال نحو الجنوب وفق خطوات مرسومة، ومراحل معلومة لدى الحركة وشرع في تنفيذ القرار الاستراتيجي بسرعة وفي يوم 22 شوال 1312ه انتقل المهدي من الجغبوب،[3]وبعد انتقال السيد السنوسي إلى الكفرة أصبحت هي الزاوية الأولى، كان ذلك سببا في ازدهار الحياة العلمية والأدبية في المنطقة. [4]

أصبحت الكفرة عاصمة الزوايا السنوسية لوجود زعيم الحركة فيها، وتصدر كبار العلماء مجالس التدريس فيها، وتقدمت سوقها التجارية تقدما باهرا، اذ أصبحت تردها بضائع السودان، وتصدر اليه عنها، وهكذا أيضا بينها وبين برقة، كما تحسنت زراعتها بدرجة كبيرة، وجلبت اليها أشجار الفاكهة من واحة سيوة ودرنة، وغيرها، وعمرت بالسكان الذين هاجروا إليها من المجابرة والتبو والسودانيين، فضلا عن سكانها المعروفين من قبائل الزوية، حتى أصبحت ذات أهمية كبيرة في

---

[1]Napoléon Ney : Un Danger européen les Société Socrétes Musulmanes، carré، paris، 1890، p 35 .

[2]رولفس غيرهارد: رحلة إلى الكفرة، تر: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، لبيا، 2000، ص 416.

[3]الطيب الأشهب : برقة العربية أمس و اليوم، ص 217.

[4]محمد طه الحاجري : **دراسات و صور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي**، دار النهضة العربية،ط1، بيروت،1983، ص ص 300-301.

وقت قصير، وأصبحت قبائل الزوية بمثابة الحرس الخاص لزعيم الحركة السنوسية .[1]

تولى المهدي السنوسي تصريف أمور الحركة من الكفرة، فعجت بالحركة وأصبح أتباع الحركة يقدمون لها من كل حدب وصوب، حتى ضاقت بهم مساكنها، وفي إحدى رسائل المهدي إلى محمد علي المحبوب في زاوية الطيلمون بليبيا يطلب المهدي ارسال الخيام، لأن وفودا كثيرة جاءت للتسليم عليه.[2]

شرع المهدي بعد أن استقرّ به المقام وانتهت أيام الاستقبالات الأولى في تركيز أمور الحركة في الكفرة، فنظم حياة الأهالي، ومنع الاعتداءات وفرض النظام، ووجه سلوك الأفراد نحو العمل الثمر سواء في تعمير الزوايا أو في التجارة، واهتم المهدي بحفر الآبار المتتابعة على طول خط القوافل، فكان يرسل البعثات لإتمام ذلك. [3]

أنشأت في تلك الفترة عدة زوايا في الكفرة منها " التاج" والتي بنيت على قمة جبل شامخ، زاوية "ريبانة " وزاوية " تازلابو". كما امتد نشاط الحركة إلى مواطن جيدة في السودان الافريقي. [4]

يبرر الدكتور عبد اللطيف حميدة انسحاب المهدي السنوسي إلى الكفرة في عمق الصحراء بقوله : " اتخذ بعد زيارة المهدي في الجغبوب صادق مؤيد العظم رجل البلاط والمبعوث السلطاني، وبعد هذه الزيارة قال محمد المهدي السنوسي لمساعديه "زيارة هذا الشخص مريبة " فتذكر المهدي رغبة الدولة العثمانية في مراقبة السنوسيين ولهذا قرر نقل المركز من الجغبوب إلى الكفرة في عمق الصحراء ". [5](أنظر الملحق رقم 03)

المبحث الثاني: النشاط التعليمي للزوايا السنوسية

---

(1) علي محمد الصلابي : سيرة الزعيم محمد المهدي السنوسي، ص 61.
(2) علي محمد الصلابي : تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ص 202.
(3) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص 220.

(4) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص 221.
(5) ناصر الدين الشريف : المرجع السابق، ص 221.

تميزت الزوايا السنوسية عن غيرها من الزوايا التي كانت منتشرة في البلاد العربية، كونها لم تكن كحلقات للذكر فقط ومكان لإقامة الصلوات فيه كما هي الوظيفة الأساسية، ليتوسع مفهومها الوظيفي في عهد الامام السنوسي لتكون مركزا علميا و ثقافيا في آن واحد .[1]

كان للزوايا السنوسية تأثيرها الواضح فيمن حولها وحتى على من يمر بها، اذ كانت كل زاوية من هذه الزوايا وحدة متكاملة، تعمل على اصلاح النفس الانسانية من جميع النواحي المختلفة، اذ ليست الناحية الدينية في نظرها مستقلة عن النواحي الأخرى، فهي تعمل على اصلاح النفوس بإيقاظ الروح الدينية فيها ،واقرار المبادئ الإسلامية الخالصة بها ،وعلى تنوير عقول أتباعها من الجهالة بإثاره رغبة المعرفة عندهم، وعلى توجيههم توجيها سليما في حياتهم العملية باستعمال الأساليب الصحيحة المستقيمة .[2]

قامت الطريقة السنوسية أساسا على الدين القويم، فاستعملت الزوايا لتجسيد مبدئها، فكانت بذلك وسيلة دعوة إلى الدين الصحيح بما يحض عليه هذا الدين من وجوب التمسك بالقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ينجم عن ذلك من ذيوع لفضائل الاسلام ،كل ذلك أدى إلى حصول الإخوان السنوسيين على نوع من السيادة الدينية والدنيوية، فأصبحت السنوسية تسيطر على أفئدة المسلمين الذين بلغتهم هذه الدعوة المصلحة.[3]

أولا: دور المكاتب الابتدائية للزوايا:

أدت الزاوية السنوسية دورا تعليميا هاما، فقد كانت كما يذكر برتشارد أشبه بالمراكز الثقافية التي تنتشر في الوقت الحاضر في العديد من الدول، وكانت الزاوية تشمل مدرسة قرآنية لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية [4] ،ويقصد هذه المدارس القرآنية في الغالب الأطفال بعمر الأربع سنوات فيشرع المعلم في تأديبه وتعليمه صور من القرآن الكريم وفي الوقت ذاته

[1]صالح بوسليم، ميلود ميسوم : المرجع السابق،ص 19.
[2]محمد طه الهاجري : المرجع السابق، ص 291.
[3]محمد فؤاد شكري : المرجع السابق،ص ص 44-45.
[4]رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث، ص 348.

يتعلم الكتابة اضافة إلى تعلمه لمبادئ العمليات الحسابية،[1] ومن يمتاز من الأطفال يلتحق بالزاوية الأم سواء كانت الزاوية البيضاء أو زاوية الجغبوب التي أصبحت مناخ للعلوم ومنبع للقرآن الكريم.[2]

كانت المواد التي تدرس بالزاوية تشمل جميع العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصول للفقه، والفرائض والتصوف والتوحيد، وكذا الصرف والنحو والبلاغة و الأدب وغيرها، كما كان طلاب العلم يتدربون على اتقان بعض الحرف والصناعات مثل صناعة البارود والأسلحة.[3]

ثانيا: دور المعهد العالي للجغبوب

تحولت زاوية الجغبوب بمرور الزمن إلى مركز ديني ثقافي [4]، فكانت بمثابة المعهد العالي، والذي كان ابن علي السنوسي يطمح إلى أن يجعل هذا المعهد يضاهي المعاهد والجوامع الكبرى كالجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب الأقصى .[5]

يقول الطيب الأشهب في الفصل الذي عقده للكلام عن الجغبوب في كتابه " برقة العربية" عن هذا المعهد "... جلس كبار العلماء للتدريس بمعهد الجغبوب، حيث تدرس جميع أنواع العلوم فلا ينحصر التعليم على حفظ القرآن(وهذا شرط أساسي)، وبعض العلوم الدينية والعربية كما هو الحال في العديد من المعاهد وقتذاك، وحتى الآن، بل إن التعليم قطع بالجغبوب شوطا بعيدا وسار خطوات واسعة، فتناول أهم العلوم العقلية والنقلية، وكان يجلس للتدريس به فطاحل العلماء الأعلام تحت اشراف السيد السنوسي نفسه، الذي يضع برامج التعليم ويقرها، فتخرّج من هذا المعهد العدد الكبير بقسط وافر من العلوم ... فمنهم العلماء والكتاب والمصنفون" [6]، من أهم العلماء الذين تخرجوا من الجغبوب العلامة فالح الظاهري[7] وغيره .(أنظر الملحق رقم 03)

---

(1) علي جميل الموصلي : المرجع السابق، ص 20.

(2)الحشائشي : المصدر السابق، ص 151.

(3)رأفت الشيخ: **تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**، دار التنمية للنشر و التوزيع،ط1،ليبيا، 1972، ص 105.

(4)نيكولاي بروشين : المصدر السابق، ص 324.

(5)رأفت الشيخ: تاريخ العرب الحديث، 349.

(6)محمد طه الحاجري : المرجع السابق،ص 297.

(7) فالح الظاهري :من أهل المدينة المنورة، صحب الأستاذ السيد محمد ان السنوسي الكبير، و له في ليبيا آثار علمية و تلامذة. ولد عام 1258ه و توفي في 1328ه الموافق ل 1842 -1910م، من مؤلفاته : أنجح

ويذكر الطيب الأشهب عن إقبال الطلبة لمعهد الجغبوب إذ يقول " ... وفي سنة واحدة تخرج ثمانون طالبا يحفظون القرآن من قبيلة واحدة هي قبيلة البراعصة"[1]، وكان أفراد هذه القبيلة يجتهدون في التعليم حتى أنهم يعرفون بين بقية القبائل بهذا الاسم: قبيلة الطلبة.[2]

ومن الجغبوب انتشر هؤلاء الدعاة يعون في صدورهم العلم الذي تلقوه فيه، ويحملون في قلوبه ايمانا أقرب ما يكون إلى إيمان علماء صدر الإسلام، وتمتلئ نفوسهم رغبة التضحية.[3]

***مكتبة الجغبوب:**

ولهذه المكتبة أهمية بالغة، فقد قال عنها الحشائشي عنها في رحلته ما نصه "مكتبة الجغبوب من حسنات السيد محمد بن علي السنوسي، وكانت من أهم المكتبات القيمة في الشمال الافريقي جعل لها نسخا، وأرسل إلى البلدان والأقطار من يجلب له الكتب " وأضاف في الشق الخاص بالجغبوب " أما الكتب الموجودة بخزائنها نيفت على الثمانية آلاف مجلد من تفاسير وأحاديث وأصول وتوحيد وفقه وغير ذلك من كتب العلوم المعقولة والعلوم الطبيعية وغير ذلك. ولا يطبع كتاب في العالم باللغة العربية إلا ويبحثون عنه و يظفرون به".[4]

المبحث الثالث: النشاط الاجتماعي للزوايا السنوسية

أولا : الخدمات الاجتماعية للزوايا

قامت الزوايا السنوسية بخدمات اجتماعية كبيرة وعظيمة الفائدة من أبرزها

1-مساعدة الفقراء :تقوم الزوايا بإطعام الفقير وايواء الغريب[5]، فهي مأوى للشارد والوارد، فإذا أتاها استقبله أصحابها وأنزلوه منزلا واسعا، فان كان جائعا قدموا له

المساعي في الجمع بين صفتي السامع و الداعي و له مخطوط بعنوان شيم البارق في ديم المهارق .ينظر الحشائشي : جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، ص 152.

[1] الطيب الأشهب : المصدر السابق، ص 48.

[2] محمد طه الحاجري : المرجع السابق، ص 297.

[3] نيقولا زيادة : برقة الدولة العربية الثامنة، ص43.

[4] الحشائشي : المصدر السابق، ص ص 151-152.

[5] الطيب الأشهب : السنوسي الكبير، ص 28.

الموائد، وان كان مريضا أحظروا له الأطباء، وان كان فقيرا أخذوه إلى الزاوية الخاصة بالفقراء فيقومون بالنفقة عليه ويبدلون له ما يحتاج من القوت والدينار.[1]

2-الافتاء وفض الخصومات: فقد كانت الزوايا السنوسية بمثابة المحكمة التي تنظر في الخصومات بين الأفراد، و البث في المعاملات بين أفراد المجتمع وقد نالت تقدير الناس.

3-نشر الأمن: فقد ضمنت هذه الزوايا للقبائل الأمن والطمأنينة ومصالحة بين القبائل، وتشجيعها على الاستقرار، إذ بحكم استقرار هذه الزوايا اضطرت كل قبيلة أن تحافظ على صلتها الدائمة بزاويتها الخاصة بها، قد اقتضى منها هذا الموقف عدم البعد عنها حتى يسهل لها الاتصال بها كلّما دعت الضرورة إلى ذلك، وبمرور الزمن توعدت القبيلة نوعا من حياة الاستقرار والإقامة بعد إن لم تكن تعرف لذلك سبيلا.[2]

4- التشجيع على العمل : فقد شجع صاحب الدعوة السنوسي الزراعة في أراضي الزاوية، كان السيد المهدي يهتم بالتعمير و الغرس، وقد كان يقول للإخوان و المريدين الذين كانوا يطلب منهم أن يعلمهم الكيمياء أن هذه-أي الكيمياء- تحت سكة المحراث، وأنها هي كد اليمين وعرق الجبين، بل كن مع العاملين في الزراعة والحرف .

بالإضافة إلى ما تبدله الزوايا السنوسية لتسهيل الحياة الاجتماعية فقد كان لها دور اقتصادي هام فقد شجعت الزوايا الحركة التجارية والزراعية ، وعمرت الطرق بالقوافل المحملة بالمواد والسلع، وكانت تقوم بتسهيلات ومساعدات لراحة المسافرين التجار، مما شجع التبادل التجاري بين منتجات الزاوية وبينما تحمله القوافل من سلع لا تتوفر في أرض الزاوية.

---

[1] علي جميل الموصلي : المرجع السابق، ص ص 18-19.

[2] علي محمد الصلابي : الثمار الزكية في الحركة السنوسية، ص 103.

وبمرور الزمن تحولت هذه الزوايا إلى مراكز عسكرية، يتعلم فيها الأفراد الفروسية والرماية وغيرها من الفنون القتالية، وكذا صناعة الأسلحة وذلك لأجل التصدي للأخطار التي تهدد طرابلس الغرب عامة وبرقة خاصة .[1]

ثانيا: علاقة الزوايا السنوسية بالقبائل الليبية

1-جهود الزوايا السنوسية في توحيد القبائل الليبية

اهتم ابن السنوسي في دعوته بزعماء القبائل، وتمكن من أن يجع بعضهم دعاة للطريقة، كما اهتم بتوصيل الدعوة إلى الأحياء البدوية، ونظم أمر الدعاة المكلفين بهذه المهمة، وحرص أن يضرب أفضل الأمثلة في العفة، و الاستغناء عن ما في أيدي الناس من متاع الدنيا، وقام بإرسال العديد من المرشدين و الوعاظ إلى مواطن البدو البعيدة أمثال مرتضى فركاش وحسين ألغرباني، وحدد لهم مادة عملهم .[2]

كانت الزوايا في حقيقتها مراكز اصلاحية سعى ابن السنوسي لاستعمالها كوسيلة للإصلاح و التهذيب، فجعل لكل قبيلة زاوية تكون بمثابة المركز الذي تعود اليه بطون القبائل واذا تعددت هذه البطون تعددت فروع الزاوية، وذلك ليسهل على أهل القبيلة التواصل معها، وليسهل على الجميع جلب صغارهم إلى الكتاتيب القرآنية ولتلقي مبادئ العلوم الدينية، و لفض النزاعات التي كانت منتشرة بين مختلف القبائل، مما أدى إلى انتشار حالة لا استقرار، و نشوب الحروب القبيلة من حين إلى آخر، لدرجة أن بعض القبائل قد أجليت من ليبيا نتيجة تلك الحروب (قبائل الهنادي، قبائل أولاد علي، قبائل الجوازي ...)، لكن بمجرد انتشار الزوايا السنوسية، أخذت القبائل تقلع بسرعة عما تعودت عليه من قبل، تحاول التخفيف من حدة هذه الصراعات، فكان من فضل هذه الحركة اقامة الصلح بين العديد من القبائل المتناحرة .[3]

قامت الزوايا السنوسية بفض العديد من النزاعات التي نشبت بين القبائل، بواسطة مجلس الشيوخ و الأعيان الخاص بالزوايا التابعة للقبائل المتخاصمة، فيتم اصدار

---

[1] رأفت الشيخ: تاريخ العرب الحديث،المرجع السابق، ص 350.

[2] علي محمد الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، المرجع السابق، ص ص 121-122.

[3] الطيب الأشهب : السنوسي الكبير ، ص ص 27-28.

الحكم وفق ما يتطلبه الأمر، اما وفق الأصول الدينية أي الكتاب والسنة، أو وفقا للعادات والتقاليد أو العرف، ومنها ما يفض بطريقة الصلح و يصبح الحكم نافذا بعد اصداره من طرف رئيس الزاوية، كل مشكلة عويصة تقع بين القبائل ويخشى أن يتج عنها الفتن و الفساد يتم النظر فيها بدقة من طرف رؤساء الزوايا، وزعماء القبائل و الإخوان، ثم ترفع إلى الجغبوب حيث يصدر القرار النهائي .[1]

تمثلت أهم انجازات الطريقة السنوسية في ازالة الأحقاد والضغائن بين القبائل وبالتالي جمع شمل المسلمين وتكوين وحدة و قوة و نفوذ، فقد قضت على الفتن القبلية وشكلت وحدة متجانسة رفعت عنها الجهل، بتشجيعها لطلب العلم و السعي لكسب الرزق .[2]

و قد عثر أحمد صدقي الدجاني على وثيقة بتاريخ 9 رجب 1297ه تتحدث عن خصام وقع بين أهالي "هون" و" سوكنة " وفض في زاوية "هون" السنوسية، والوثيقة مقدمة من طرف ثمانية عشر رجلا من أعيان هون إلى متصرف فزان يخبرونه بانتهاء الخلاف .[3]

2-جهود الوفاق بين الزوايا السنوسية والقبائل :

كان ثمة توافق بين نظام الزوايا و التنظيم القبلي للمجتمع البدوي، و وفقا لما يكتبه زيادة " في الواقع كان نشاط الحركة بين سكان الصحراء فمن جهة كان سكان الصحراء بحاجة اليها ومن جهة أخرى فان مؤسس الطريقة توجه بالدعوة اليهم لأنهم أقل فسادا من سكان المدن "، ويؤكد ريتشارد على أن الطريقة اعتمدت على القبائل وليس على المدن " فقد أنشأت الزوايا بأيدي القبائل و التكتلات القبلية التي اعتبرتها مؤسسا قبلية " .[4]

كانت تبرم العديد من الاتفاقيات بين شيوخ القبائل، و يقدم المؤرخ الايطالي م كالوتشي مثالا على اتفاق بين قبائل البراعصة وطرش دينال و الشلماني بإهداء

---

[1]علي محمد الصلابي : الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ص 104.

[2]مطهري فاطمة : **السياق الأنثربولوجي الديني في فكر السنوسي الاصلاحي و التربوي و أثره في التواصل بين الجزائر و باقي الأقاليم المغاربية و الإفريقية**، في أنثربولوجية الأديان، المجلد 17، العدد15،01 جانفي 2021، ص 549.

[3]أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص 239.

[4]نيكولاي بروشين : المصدر السابق، ص 323.

زاوية : توكرة " القطعان وجزء من المحاصيل وبتقديم الجمال لنقل المحاصيل والبضائع إلى المركز الاداري إلى المركز الاداري للطريقة السنوسية وبمساعدة الزاوية في أيام البذار، وذلك مقابل الدفاع عنها . وكل ذلك تحت شعار " الجميع للزاوية و الزاوية للجميع ".[1]

كان البدو ينظرون إلى السنوسيين نظرة تقدير واحترام ويصل أحيانا إلى درجة التقديس، فهم يتقبلونهم كحاملين للبركة، ومالكين للقداسة و للقوة الروحية المستترة، وينظرون اليهم نظرتهم إلى شخصيات دينية فيسمونهم مرابطين، يتقبلون أوامرهم ونواهيهم باحترام.[2]

وتبرز أهمية الطريقة السنوسية في الحياة الاجتماعية السياسية للولاية في كتابات الرحالة، خاصة ما ذكره الرحالة الروسي آ.ف.يليسييف الذي زار ولاية طرابلس سنة 1844، والذي يقول " ...في طرابلس يعيش الوالي التركي و يتركز في البلاد فيلق تركي كامل والسفينة الحربية التركية المدرعة تتهادي أحيانا فوق المياه الطرابلسية، ولكن الحاكم الفعلي للصحراء الواسعة في البلاد ليس الباب العالي ولا الموظفين، بل شيخ الحركة السنوسية، المستتر الشديد القوي، مهدي الجغبوب الأعظم و مرابطوه . وسطح الولاية الطرابلسية مغطى بكامله بشبكة الزوايا العدد أو بمراكز القوة السنوسية أكثر من تغطيته بشبكة المؤسسات العسكرية والادارية التابعة للباب المجيد "، وكتأكيد لما ذكره وصف الرحالة الروسي للحشد المجتمع بمناسبة العيد الإسلامي، حول المسجد في طرابلس وموقفه من الوالي العثماني والوكيل رئيس الحركة السنوسية . فهو يقول " عند انتهاء الصلاة في الجامع .خرج الحاكم فركب حصانه وانطلق إلى قصره تشيعه حاشيته وجنوده لكن الجمع المحتشد لم يخطر له حتى التفكير بالتفرق وهو ينتظر الوكيل . حتى اذا ظهر اشتعل الناس وأبدوا مظاهر أشد ألوان البهجة وتصاعدت الهتافات والتحيات ... ورأينا كيف خرّ الكثيرون على وجوههم عند مروره وبسطوا له أيديهم طالبين الدعاء والبركة وأخيرا راحوا يهرولون وراء الجحش الأبيض الذي كان يقل ممثل

---

[1] نيكولاي بروشين : المصدر السابق، ص 326.
[2] نفسه، ص 329.

المهدي السنوسي. فرأينا بأم أعيننا من هو الحاكم الفعلي لكل طرابلس و الصحراء ". [1](أنظر الملحق رقم 04).

نجحت الطريقة السنوسية من خلال الزوايا في أن تصلح المجتمع البدوي في ليبيا وتحويله إلى مجتمع إنتاجي، كما نجحت في أن تكون سلطة على هذه المجتمعات بموافقة أفرادها، محاولة فض النزاعات وإخماد الفتن التي مرّ عليه دهر وهي منتشرة بين قبائل هذه المجتمعات، بالإضافة إلى العمل على إرشاد وإصلاح نفوس الأفراد وفق الدين السوي الخالي من الشوائب التي قد علقت بالدين الإسلامي بسبب بعض الطرق الأخرى، ولم يقتصر عمل الزوايا على التعليم فقط، بل تعدى دورها إلى الأنشطة الاجتماعية وحتى الاقتصادية، وفي فترة الاستعمار لعبت دورا عسكريا، وبذلك فالزوايا السنوسية هي تنظيم خاص انتشرت خلاياه في مختلف الأقطار الليبية.

[1] نيكولاي بروشين : المصدر السابق، ص 351.

الفصـــل الثالث

علاقة الطريقة السنوسية بالسلطة العثمانية

تمهيد

المبحث الأول: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد المؤسس محمد بن علي السنوسي

المبحث الثاني: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد محمد المهدي السنوسي المبحث الثالث: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد أحمد الشريف:

خلاصة الفصل

تمهيد:

سعت الحركة السنوسية ككيان ديني لأن تحافظ على نظامها الداخلي وعدم التأثر بالأوضاع السياسية المحيطة بها، إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تربط علاقات مع الدولة العثمانية بصفتها دولة الخلافة الإسلامية، حيث عمل ابن السنوسي على الحفاظ على علاقاته الطيبة مع الولاة المحليين ممثلي السلطة العثمانية في طرابلس وذلك وفق ما يخدم حركته، ولم يختلف النهج الذي سار فيه ابنه محمد المهدي في علاقته مع الباب العالي عن نهجه، حيث اتخذ من الحياد سياسة له، مما ساهم في انتشار الحركة في مختلف الأقطار، وقد رأت الدولة العثمانية في مساندة الحركة السنوسية ضرورة لازمة، خاصة مع زيادة الأطماع الأوروبية، والتي آلت إلى الاحتلال الايطالي، الذي وقف في وجهه السيد أحمد الشريف السنوسي وأتباعه.

المبحث الأول: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد المؤسس محمد بن علي السنوسي

أولاً: محمد بن علي السنوسي والدولة العثمانية

1- موقف ابن السنوسي من الدولة العثمانية

يظهر البعد السياسي لابن السنوسي في تعامله الحكيم مع الدولة العثمانية، حيث رأى في الدولة العثمانية دولة الخلافة، ضرورة لازمة لوحدة الأمة،[1] رغم انتقاد ابن السنوسي للخلافة العثمانية، وقد كان منشأ نقد ابن السنوسي لخلافة العثمانيين في عصره هو ما ذكره ابن السنوسي في كتابه "الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية" أنّ "الإمامة والخلافة لابد أن يليها عربي قرشي" واستشهد على ذلك بآراء الماوردي، ورفض قول الذين يشيعون هذا المنصب في المسلمين من غير العرب ولهذا الموقف الفكري دلالته التي لا تنكر رفض خلافة آل عثمان .[2]

لكن رغم انتقاد ابن السنوسي لمبدأ الخلافة العثمانية إلا أنه لم يشأ أن يثير موضوع الخلافة من هذه الناحية، لأنه يعلم يقينا أن اثارة هذا الموضوع معناه ففتح

---

[1] علي محمد الصلابي: **تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا**، دار المعرفة، ط3، بيروت، 2009، ص 113.

[2] محمد عمارة : المرجع السابق، ص 269.

باب للنزاع لا يعود الا بالضرر على السنوسية و على المسلمين أجمع[1]، خاصة وأن " الإمامة " لم تكن هي هدف ابن علي السنوسي، فقد كانت رغبته في أن تظل الدولة العثمانية في أن تظل الدولة العثمانية، ما دامت قائمة، وما دامت دولة الخلافة، ذلك السياج الذي ينبغي أن يحيط العالم الإسلامي ويدفع عنه عدوان المعتدين، كما أن كل ما أحدثه إخفاقها في تحقيق هذه الرغبة وكونها دولة الخلافة، لم يجعل السيد ابن السنوسي يغير موقفه اتجاه الدولة العثمانية بصفتها دولة الخلافة الإسلامية.[2]

2- موقف الدولة العثمانية من ابن السنوسي وحركته:

ظلت نظرات الدولة العثمانية إلى حركة ابن السنوسي دائما متسمة بالشك، والواقع أن العثمانيين كانوا ينظرون إلى إليه وإلى دعوته بشيء كثير من الارتياب لما قد يترتب عليها من تطور في سيادتهم على البلاد، خصوصا وأن دعوة السيد السنوسي الكبير جاءت عقب دعوة المصلح محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية وما اقترنت به من عنف كاد يعرض السيادة العثمانية على الأراضي المقدسة للزوال، ومما جعل الخوف من حركة ابن السنوسي يزيد هو شكوك الدولة العثمانية في وجود اتصالات بين ابن السنوسي والوهابيين، خاصة وأن السيد السنوسي الكبير قد أمضى في الأراضي المقدسة حوالي العشرين عاما، وان كان السيد السنوسي ينفي أي صلة له بالحركة الوهابية وان تشابهت دعوته الإصلاحية بدعوة محمد بن عبد الوهاب في بعض المسائل اقتضاها ما جاء بخصوصها في القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة، كل هذه القرائن جعلته ينظرون إلى السيد السنوسي الكبير وإلى دعوته بتخوف كبير.[3]

إن انجازات محمد بن علي السنوسي هي التي جعلت الشكوك تساور العثمانيين اتجاه، وجعلتهم ينظرون إليه هذه النظرة الارتيابية، فقد تمكن في وقت وجيز من أن يخلق من قبائل ليبيا لاسيما المناطق الشرقية مجتمعا آخر يختلف كليا عما كانت عليه بفضل نشاطه الإصلاحي حتى أصبح هذا المجتمع الجديد في ظل السيادة العثمانية، وبفضل دعوة ابن السنوسي أشبه بإمبراطورية داخل إمبراطورية أخرى، خاصة وأن حركة السيد السنوسي الكبير الإصلاحية كانت تحمل في

---

(1) علي محمد الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ص 113 .

(2) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 18.

(3) مصطفى بعيو: المرجع السابق، ص 67.

طياتها بذور طيبة تصلح أن تكون أساسا لكيان سياسي للبلاد على قواعد إسلامية خالصة.[1]

لكن رغم تخوف الدولة العثمانية من حركة ابن السنوسي إلا أنها عملت على توطيد هذه السياسة وتدعيم نفوذهم في الشمال الإفريقي فانّ فرنسا قد جاورتهم بعد أن احتلت الجزائر وأخذت تتجه بأنظارها إلى أملاك الدولة العلية المجاورة[2] .

ثانيا: سياسة محمد بن علي السنوسي اتجاه الدولة العثمانية

1-سياسة ابن السنوسي اتجاه الدولة العلية

إن طبيعة السلك الروحي والإصلاحي والاجتماعي، الذي انخرطت فيه التقاليد الدعوية للسنوسيين، كانت أحد أسباب الحكمة سواء في نظرتهم إلى المجتمع أو في تعاملهم مع الأتراك العثمانيين، إذ كان منهج المؤسس الأول للحركة السنوسية يقوم على "مهادنة السلطات العثمانية"، ولم تكن هذه تلك المهادنة مجرد تكتيك، ولكنها كانت نابعة من مبدئية الاعتراف بالخلافة العثمانية ككيان وحيد ممثل للأمة بعمومها.[3]

لم يترك الإمام ابن السنوسي فرصة تمر إلا واتخذها لتعزيز مركز الخلافة والأخذ بيدها، لأن هدفه الوحيد كان إصلاح شأن المسلمين العرب،[4] فقد كان ظاهرا أنه لم يكن من رأي السيد الخروج على سلطان الخلافة ولا الانفصال بإمارته عن جثمان الدولة العثمانية، ولا الاستقلال بشأنه وإمارته. وفيما عدا هذا فانه ما كان يرضى أن يستعين بالأتراك أو بغيرهم لإدخال الإصلاح المدني على غرار ما فعله صاحب مصر لجملة أسباب، أولها أن السيد السنوسي لم يكن مرتاحا إلى السياسة التي اتبعها الأتراك عموما مع الشعوب العربية الإسلامية الخاضعة لهم، فقد لمس السيد في مشاهداته وما وصل إلى علمه في أثناء أسفاره المتعددة، وبفضل ارتباطاته المختلفة مع بقية الإخوان والأتباع في أنحاء العالم الإسلامي ومع الأمم العربية ما يمارسه العثمانيون من ضغط على العالم العربي وإرغامه على قبول السيطرة العثمانية والخضوع لها، وثانيها هو أن السيد تعذر عليه استخدامهم خوفا من أن تسيطر الدولة العثمانية على حركته على غرار العديد من

---

(1) مصطفى بعيو: المرجع السابق، ص 68.

(2) نفسه، ص 67.

(3) عطية الويشي: المرجع السابق، ص 140.

(4) الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 108.

الحركات الأخرى، أضف إلى هذا إن السيد السنوسي الكبير كان يعتبر الأتراك مقصرين في الجهاد ضد الفرنسيين الذين شنوا عدوانهم على بلاد الجزائر و كان يعد دولة الخلافة مسؤولة عن الضعف الذي أعجز السلطات الحكومية في هذه البلاد عن مقاومة الغزو و الاستعمار الأجنبي.[1]

لم تشأ الحركة السنوسية الانخراط المباشر في العمل السياسي كسلطة موازية للسلطة العثمانية، بل حرص ابن السنوسي على الابتعاد عن نفوذ السلطة العثمانية، ولذلك فضل ابن السنوسي أن يتوغل بزواياه في الصحراء، وحرص على أن يركز في غرضه الدعوي و بناء الزوايا.[2]

1- علاقة ابن السنوسي بالولاة العثمانيين

أ-الوالي محمد أمين باشا[3]:

عمل ابن السنوسي على تحسين علاقاته مع ممثلي السلطة العثمانية في طرابلس الغرب، مما أدى إلى توثيق العلاقات بين السلطة المحلية والحركة السنوسية، فقد بعث ابن السنوسي برسالة إلى والي طرابلس محمد أمين باشا بعد تأسيسه للزاوية البيضاء، والتي جاء فيها: "ثم إننا نحن وعصاية المهاجرين بحمد الله في عافية، وما ذكرتم من كونكم إلى لقائنا بالأشواق وأخذكم من عهود الود بأشد وثاق، فهذا محقق لدينا، وواجب المكافأة علينا، ويؤكده دوام اعتنائكم بنا وبأصحابنا، وملاحظتكم لنا وشفقتكم علينا، وتوصيتكم أتباعكم على ما يتعلق بمحلنا من خدمة وعمارة، وغير ذلك مما لا يقدر على مكافأتكم عليه إلا الله سبحانه، هذا ومع بعد المسافة وانشغالكم بمصالح الدولة العلية وقيامكم بأعباء سياسة الرعية، فان هذه الزاوية وأن نسب إنشاؤها لمن قبلكم فإنما تمام أمرها واستمرار انتظامها بشمول نظركم فأنتم لذلك منا بمرأى ومسمع، وتذكرون مع الحاضرين في كل مجمع ... والإخوان المهاجرون دائما لكم داعون، وعند ل خير ذاكرون ولاحسان جنابكم

---

(1) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 53.

(2) عطية الويشي: المرجع السابق، ص 140.

(3) محمد أمين باشا: عيّن محمد أمين باشا واليا على طرابلس من الآستانة في يوليو 1842م، وقدم اليها من ستة جمادى الآخرة سنة 1258ه، وعني ببعض الإصلاحات، وأنشأ بعض المرافق العامة، يقول عنه النائب "أجرى تنظيمات الخيرية ورتّب القضاءات والمديريات واللواءات، أنشأ المجالس والأقلام". ينظر الطاهر الزاوي: **ولاة طرابلس من الفتح العربي حتى نهاية العهد التركي**، دار الفتح، ط1، بيروت، 1970، ص 247.

ذاكرون ..."[1] ومن خلال هذه الرسالة يتجلى الرابط الوثيق الذي جمع الطريقة السنوسية بالحكام المحليين.

ب-الوالي أشقر باشا :

كانت علاقة ابن السنوسي بحاكم إقليم طرابلس أشقر باشا " وهو من خيار رجال الدولة العثمانية الصالحين"[2] في البداية تتميز بالتوتر بسبب الأنباء المشبوهة التي أنت قد وصلت إلى أشقر باشا عن دعوة ابن السنوسي وحركته التي قيل على لسان رواة الحاكم العثماني أنها تهدف إلى ما يبعث على قلق السلطات العثمانية، وكان رواية هذا التهام هو أحد شيوخ الطرق الصوفية من المتحاملين على ابن السنوسي، فأمر أشقر باشا بالقبض على رفاق ابن السنوسي الذين كانوا قد وصلوا قبله إلى طرابلس، وقد كانوا متواجدين بمنزل الحاج أحمد باشا المنتصر ريثما يتسنى القبض على الإمام شخصيا.[3]

تدخل المنتصر بواسطته لكي يبقى الإخوان السنوسيون في منزله وتعهد بإعلام الحكومة العثمانية لحظة وصول الإمام ابن السنوسي، فعند وصول ابن السنوسي إلى طرابلس كان لديه علم بما حدث قبل مجيئه، فطلب مقابلة الوالي العثماني فاندهش الإخوان لهذه الرغبة، خاصة وأن هذه الرغبة تحفظ للمنتصر كرامة تعهده للوالي وكرامة واجبه نحو الإمام وإخوانه، وفي وقت نفسه سيكون حجة على الوالي العثماني دون أن تكون له حجة، وبادر المنتصر بإخبار أشقر باشا عن رغبة السيد ابن السنوسي في شيء من الاطمئنان، وتمت المقابلة أفضى أشقر باشا للإمام بما وصلته من شائعات التي قد تسيء للحاكم العثماني.[4]

طلب الإمام السنوسي من الحاكم أن يمنحه فرصة لينفي الاتهامات التي وجهت له ويدحضها بالحجة العلمية، فلبى الحاكم للإمام رغبته، وتألف المجلس من كبار العلماء، وكان من بينهم السيد أحمد المقرحي الذي كانت له مكانة خاصة عند الحاكم العثماني، والشيخ علي القزيري البنغازي، وأخذ المجلس العلمي يناقشون الإمام، ليتأكدوا هم والحاكم العثماني عند انتهاء المناقشة من مكانة الإمام العلمية وأهدافه الاصلاحية.[5]

---

(1) علي محمد الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 113.

(2) محمد لطفي: **تاريخ حرب طرابلس**، مؤسسة الأمير فاروق،ط1، مصر، 1946، ص 23.

(3) الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 103.

(4) الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص ص 103-104.

(5) نفسه، ص 104.

فرأى أشقر باشا بحكمته أن يستضيف تلك الطائفة من العلماء على غرار ابن السنوسي ورفاقه طوال شهر رمضان ليقوموا بإرشاد الناس إلى أمور دينهم في المساجد ابتهاجا بشهر رمضان العظيم، وبعد انتهاء شهر الصيام، عرض الوالي أشقر باشا على الإمام ابن السنوسي أن يقيم في البلاد الطرابلسية وأن يتجول في ربوعها لحث الناس على الفضيلة والتمسك بالدين وعدم الخروج عن طاعة خليفة المسلمين حتى تتحد قواهم، خاصة وأن الوالي كان يعالج أزمة داخلية كبيرة من أثر" ثورة غومة "[1] زعيم الجبل الغربي.[2]

ج- **الحاكم محمد باشا صالح (حاكم بنغازي):**

فقد بعث ابن السنوسي برسالة إلى محمد باشا صالح الذي كان حاكما على بنغازي يعهد فيها للوالي بمهمة رعايا الزوايا وحمايتها وإصدار الأوامر باحترامها وذلك من قبل سفر ابن السنوسي إلى الحجاز. وجاء في الرسالة " ... فلما حان سفرنا وجب علينا أن نرد الأشياء إلى محلها والأمانات إلى أهلها، وذلك أن هذه الزاوية التي حدثت بمهمة حضرتكم ومنّة جناب والدكم .... وكل الزوايا حوله من عربان وعلم جنابكم محيط بأحوالهم وتعدي بعضهم على بعض فضلا عن غيرهم ... وقد سبق من جانبكم وجناب الإكرام الوالد حمى حرمها وصيانة حرمها ... وإذ تأكد وشاع عن سفرنا ما هو الواقع من انتسابها لجنابكم، وعلم الجميع بذلك بتعزيز خطابكم لا يستباح لها حصن ولا تحضر لها ذمة وتصير حرما آمنا ...".[3]

د- **مصطفى باشا (حاكم إقليم فزان):**

لم يقتصر ابن سنوسي على حاكم واحد لتوطيد علاقته مع السلطة العثمانية، بل حاول التواصل مع جميع حكام الأقاليم الليبية، فقد وجه ابن السنوسي رسالة إلى حاكم إقليم فزان وكان فحواها: "ولدنا مصطفى باشا قائم مقام فزان حالا، أدام الله بقاؤه وزاده عزا واجلالا، وبعد إهداء تحيات عطرة تليق بعزيز الجناب... إنكم

---

(1) ثورة غومة: نشبت مع بداية العهد العثماني في طرابلس الغرب 1835-1911م، بشكل محدود بين سكان الجبل الغربي الذين أعلنوا عدم قبول موظفين ساميين من طرابلس على إدارة رأس الجبل الغربي، وقد دامت هذه الثورة ثلاثة وعشرين سنة بين مرتفعات الجبل الغربي وأودية سهل الجفارة. ينظر: سالم بشير السلوقي: **الحركات والانتفاضات والثورات ضد الأتراك العثمانيين (1912-1555م)**، في " كليات التربية"، العدد19، نوفمبر 2020، ص ص 7-8.

(2) محمد إبراهيم لطفي: المرجع السابق، ص ص 23-24.

(3) علي محمد الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ص 114.

للفضل أهل ولعمل الصالحات مأوى ومحل اذ أن مقاصدكم كلها صالحة. وفضائلكم لدى العوام والخواص واضحة وقد أخبرنا ولدنا الشيخ أحمد بن أبي القاسم التواتي عن جميع خيراتكم تفصيلا، وتتابع ذلك منكم بكرة وأصيلا... وقد وجهنا ولدنا الشيخ محمد بن الشفيع يذكر عباد الله في تلك الناحية، ويكون مقامه بزاوية (واو) حتى يرجع إليها الشيخ أحمد بن القاسم التواتي لأن مرادنا أن يأتينا من هناك ببعض الكتب غير موجودة في خزانتنا ويرجع إن شاء الله عاجلا. وها نحن داعون لكم بصالح الدعوات في الخلوات والجلوات وأوقات الإجابات وعلى الله القبول وهو المرجو منه والمأمول وسلام السلام يخصكم ويعم سائر اللائذين بجنابكم ". [1]

ومن خلال ما سبق نستخلص أن ابن السنوسي استطاع أن يقيم علاقات متينة مع حكام الأقاليم الليبية مما جعل الدولة العثمانية تعيد النظر في علاقتها بالطريقة السنوسية، فحاولت الدولة العثمانية استمالة ابن السنوسي لصفها والاستفادة من نشاط الحركة لصالحها، خصوصا بعد ملاحظة الخدمات الجليلة التي قدمتها حركة ابن السنوسي لصالح القبائل في مجال الدعوة والتعليم والارشاد.[2]

ثالثا: اعتراف الدولة العثمانية بالطريقة السنوسية وخدمة السنوسية لها

1- مظاهر الإقرار العثماني بالطريقة السنوسية

أ-اعتراف الدولة العثمانية بحركة ابن السنوسي:

رغم تخوف الدولة العثمانية من حركة ابن السنوسي،ورغم المحاولات العديدة للدول الأوروبية لتأليب الدولة العثمانية ضد حركة ابن السنوسي كما فعلت بالنسبة للحركة الوهابية، وتغري للآستانة بأن خطرها على السلطنة العثمانية قريب إلا أنها حاولت احتوائها، بدل الصدام معها، وذلك وفقا لما تمليه مصالحها خاصة بعد تمكن محمد بن علي السنوسي بحرصه وذكائه أن ينال ثقة الدولة العثمانية، ومضى يعمل في حيطة وصمت داخل إفريقيا، بعيدا عن أسلوب الثورة أو التدخل

[1] علي محمد الصلابي: الثمار الزكية في الحركة السنوسية، ص 139.
[2] علي محمد الصلابي: الثمار الزكية في الحركة السنوسية، ص139.

مع حيدة تامة بالنسبة للخليفة العثماني[1]، وبذلك كان أسلوب الحركة أسلوبا سلميا مما دعا الدولة العثمانية لمعاضدتها.[2]

لم تتردد الدولة في معاضدة السنوسيين ومساندتهم، فقد تمكن مبعوث الإمام ابن السنوسي الشيخ عبد الرحيم المحبوب شيخ زاوية بنغازي إلى الباب العالي من مقابلة السلطان العثماني عبد المجيد والذي حصل منه على فرمان سنة 1856 يعفي أملاك الزوايا من الضرائب ويسمح لها بجني نقود أتباعها.[3]

والواقع أنّ الحكومة العثمانية لم تهتم بوضع السنوسية القانوني والدستوري في البلاد، وما دامت الدعوة للخليفة العثماني تقام على منابر المساجد يوم الجمعة، والسنوسيون يعترفون بالخلافة والخليفة العثماني فالعثمانيون يقبلون بها.[4]

وقد أثبت السلطان العثماني عبد العزيز الفرمان الذي سنه قبله السلطان عبد المجيد، وذلك عن طريق إصدار فرمان جديدة في 1861 يؤكد فيه بإعفاء الزوايا السنوسية من الضرائب والسماح للسنوسيين بجمع ضريبة دينية من أتباعهم، وسمح بأن تكون الأراضي السنوسية "حِمى" يمكن للناس أن تحتمي فيه.كان رجالات الدعوة السنوسية بمثابة همزة وصل بين العثمانيين والأهالي، فقد قبل الأهالي الزعامة السنوسية كممثل لهم و ناطقة باسمهم.[5]

ب- **الامتيازات العثمانية للطريقة السنوسية** :

بحكم الفرمانات التي أصدرتها الدولة العثمانية لصالح لطريقة السنوسية خاصة في عهد السلطان العثماني عبد المجيد عن طريق الشيخ " المحبوب" وفي عهد أخيه السلطان عبد العزيز والذي نقله لوالي طرابلس السيد "العيساوي"، حصل السنوسيين على العديد من الامتيازات في طرابلس الغرب وحتى في الباب العالي في بعض الأحيان، والتي تمنح السنوسيين حق الإعفاء من الضرائب، كذا حق الحمى المقدس ضمن حدود الزوايا السنوسية، وتضمنت هذه الرسائل تبجيل كثير لرجالات الدعوة السنوسية.[6]

---

(1) أنور الجندي: المرجع السابق، ص 264.

(2) تاج السر حران: **حاضر العالم الإسلامي**، اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 2001، ص 111.

(3) أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص 105.

(4) نيقولا زيادة: إفريقيات، ص 252.

(5) عبد المنعم جميعي: **الدولة العثمانية و المغرب العربي**، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 2007، ص 42.

(6) ايفانز بريتشارد: المصدر السابق، ص ص 34-35.

وقد حصل صدقي الدجاني على بيور من والي طرابلس "حالت باشا"[1] إلى متصرف الجبل "قاسم باشا" بتاريخ 03 جمادى 1287ه موضوعه إعفاء السنوسية من جميع "المرتبات الأميرية والأعشار الشرعية". وفي أول حديثه تطرق إلى الفرمانات التي أتى بها الشيخ "العيساوي " من الباب العالي بإعفاء الزوايا السنوسية من الضرائب، كما تحدث عن عمل ابن السنوسي وجهوده في نشر العلم والدين، ثم أمر بإحسان معاملة شيخ الزاوية وأمر بإعفائه من الضرائب، حيث قال " ...أشعر بجريان العفو عنه في جميع المرتبات الميرية والأعشار الشرعية، وأن لا يطالب بميري ولا أعشار حسبما تضمنه " الدركنا " مع فريد الاحترام و كمال التعظيم لميره والأكرام والتوقير والإجلال على الدوام. وعدم التعدي على جانبه الرفيع وعلى تلاميذه وسائر الفقراء السنوسية بسوء ولا بمكروه من سائر الوجوه أملا أن ستمر على ما كن عليه من الإرشاد والتعليم، ويداوم على الدعوات الخيرية للحضرة الشيهانية ...."، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الموقف الطيب للوالي اتجاه الحركة السنوسية، وشعوره بأهميتها كما يظهر معاونة الولاة للحركة بإعفائها من الضرائب.[2]

لقد حاول الموظفون الأتراك أن يظلوا على علاقة حسنة مع شيوخ السنوسية إلى أقصى ما يستطيعون، وساعد في ذلك كونهم رجال مثقفين يسر لهم أن يتقبلوا تعاليمهم الرفيعة، بل انّ بعضا منهم انتسبوا إليها، وقد منحهم هذا الانتساب نفوذا وتقديرا في أعين البدو.[3]

2- الطريقة السنوسية في خدمة الدولة العثمانية:

لجأ العثمانيون إلى المؤسس حتى يستخدموا نفوذه من أجل إصلاح ذات البين بين الأتراك والعرب، فاعترفت الدولة العثمانية عن طريق واليها في طرابلس بزعامة السيد وامارته، ولم يكن اعتراف الأتراك بهذه الإمارة السنوسية أمرا غريبا في بابه، بل إن ما فعلته الدولة العثمانية كان يتفق مع الخطة التي اتبعتاها في سياستها العربية، فقد رأت أنه من الخير للمحافظة على كيانها أن تكون على وفاق مع الإمارات العربية والتي من ضمنها السنوسية خاصة وأنها لم يكن في

---

(1) حالت باشا: عين واليا على طرابلس في جمادى الآخرة سنة 1287ه/أغسطس 1870م، كان من عمله أنه أبطل تليغراف الذي أنشأه علي رشيد باشا. ينظر الطاهر الزاوي: ولاة طرابلس، 130.

(2) أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص ص 205-206.

(3) ايفانز بريتشارد: المصدر السابق، ص 37.

استطاعتها القضاء عليها وإخضاعها بالقوة لسلطانها ففضلت إنشاء علاقات طيبة معها حتى تضمن مؤازرتاها للدولة عند الحاجة في وقت الخطر.[1]

على الرغم من أن السنوسيون كانوا يتحولون إلى قوة سياسية أمامية في برقة وفزان وطرابلس حيث كانوا يستحوذون على مواقع اقتصادية سيادية، ووقوفها في وجه الحركة السنوسية في وجه الامبراطورية العثمانية في الصراع على السيادة في المناطق الداخلية من ولاية طرابلس، إلا أن تطابق المصالح الاجتماعية الاقتصادية بين الجانبين أدت إلى تحالفهما[2]، خاصة وأن انتشار التعاليم السنوسية في برقة وطرابلس اللتين كانتا تابعتين للدولة العثمانية منذ منتصف القرن السادس عشر وأن سلطان العثمانيين ما كان يتعدى داخل البلاد وما كان لأحد غير ابن السنوسي الكبير بما ظهر من تعلق العرب به وإصغائهم لنصحه وإرشاده أن يتمكن من اسداء هذا المعروف لمصلحة السلم والطمأنينة واجتماع الكلمة ونبذ التنافر الخصام بين المسلمين وشعبهم ولم يكن السيد إلا داعيا عظيما للاتحاد ويقظة العالم الإسلامي، فاستغلت الدولة العثمانية هذا الأمر لأجل مصالحها.[3]

كما عمل الموظفين العثمانيين في الحصول على الضرائب على استغلال السنوسية، حيث أن هذا الأمر كانت تؤمنه السنوسية للدولة، لذلك اقتصرت مراقبة الموظفين على المدن وما إليها، وتركت شؤون الأجزاء الداخلية للسنوسية تديرها، وتهتم بالأمن والقضاء والتعليم وجمع الضرائب، والاتصال بين الخليفة وشيخ السنوسية كان يتم بين آن وأخر بواسطة رسل يأتون الجغبوب من استانبول.[4]

يتحدث ايفانز بريتشارد عن استغلال الدولة العثمانية للطريقة السنوسية لأجل جمع الضرائب قائلا " ... ولقد أخبرني بعض وجهاء بنغازي المتقدمين في العمر أن الباشا، كما كانوا يطلقون على الحاكم التركي ما كان أن ينجح في جمع الضرائب من البدو لولا تعاون رؤساء الزوايا السنوسية ... الذين كثيرا ما كانوا يرافقون المديرين ومفارز جمع الضرائب إلى شيوخ العشائر الملحقة بزواياهم، ... كان من المصلحة العامة لكل من الإدارة التركية والسنوسية بطبيعة الحال أن يتوفر النظام والأمن والعدالة ... فتعاون الطرفان لتوفير ذلك في أرجاء البلاد

---

(1) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص 50-51.
(2) بروشين: المصدر السابق، ص 351.
(3) الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 104.
(4) نيقولا زيادة: إفريقيات، ص 252.

..."،[1] وبذلك فان جمع الضرائب في المناطق النائية الداخلية إنما كان يتم لأن السنوسية كانت تؤيد الإدارة العثمانية وكان ذلك في مصلحة البلاد، فتأمين الضرائب كان يحول الحول دون الحكومة ومحاولة فرض سلطانها، الأمر الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى ثورات كثيرة مسلحة، واصطدام بين الحاكم والمحكوم، كانت البلاد في غنى عنه. وحفظ النظام كان في مصلحة السنوسية لتقوم بواجبها في الإحياء الديني.[2]

المبحث الثاني: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد محمد المهدي السنوسي

أولا: محمد المهدي السنوسي والسلطان عبد المجيد

1- موقف المهدي السنوسي من الدولة العثمانية

لم يكن موقف محمد المهدي السنوسي مختلفا عن موقف والده، حيث أن السيد المهدي كان قد فهم التعاليم الأساسية للسنوسية كما فهمها وسار عليها خليفته الأول السنوسي الكبير، فقد ظلت الدولة العثمانية دولة الخلافة في اعتبار السيد المهدي، كما كانت في اعتبار والده من قبل، حيث كانت في نظره ذلك السياج الذي يحوط العالم الإسلامي ويمنع كيد الكائدين وطمع الطامعين، وليس من مصلحة الإسلام في شيء إضعاف الخلافة . ولم تكن الدعوة إلى إيقاظ العالم الإسلامي كما وضع أسسها السيد المؤسس، وكما فهم هذه الأسس واسترشد بها أيضا ولده، تهدف إلى تحطيم دولة الخلافة أو الانتقاص من شأنها، وإنما كان هدفها الأول إحياء الدين وبعث الإيمان ونشر العقيدة الصحيحة قبل كل شيء ثم إنشاء الإمارة الإسلامية

---

(1) ايفانز بريتشارد: المصدر السابق، ص 37.

(2) نيقولا زيادة: إفريقيات، ص 252.

التي تأخذ على عاتقها الدعوة إلى الدين الحنيف منضوية تحت الخلافة والإمامة الكبرى .[1]

2- موقف السلطان عبد المجيد من الحركة السنوسية في عهد محمد المهدي:

رغم ما يذكره "دوقرييه" عن علاقة المهدي بالدولة العثمانية وما حدث من تباعد بين السنوسية والدولة العثمانية، والذي وصف التغير الذي حدث في العلاقات في أواخر عهد السلطان العثماني عبد المجيد خاصة بعد تولي السيد المهدي خلافة الطريقة بعد وفاة والده، حيث تحدث عن تغير العلاقات بسبب ما أظهره السلطان العثماني من ميل إلى التقليل من أهمية السيد السنوسي، حتى أن السيد في عام 1861م لم يلبث كما قال "دوقرييه" "أن وضع السلطان تحت الحرمان" أي أنه أصدر ضد السلطان العثماني قرارا يحرمانه من الرحمة و المغفرة على نحو ما كان يفعله الباباوات مع أباطرة أوروبا في العصور الوسطى، ومع أنه جائز أن يكون السلطان العثماني عبد المجيد بعد وفاة السيد المؤسس قد بدا يظهر عدم اهتمامه بالسنوسية لصغر سن المهدي بشكل جعل السيد مع مستشاريه في تلك الآونة يعلنون أن السلطان العثماني أصبح مهجورا على عادة السنوسيين كلما أرادو اظهار غضبهم من انسان وقطيعته بسبب عمل لا يرضى عنه الدين الصحيح وتنفر منه الطريقة، وقد يكون هذا ما وصفه " دوقرييه " بأنه قرار الحرمان الصادر ضد السلطان العثماني، إلا" أنه لم يحصل المؤرخين على ما يثبت قول " دوقرييه "، ولعل أهم ما تجدر ملاحظته من هذا الحادث سواء أثبت وقوعه أم لم يثبت، أن دولة الخلافة لم يكن يرضيها في الواقع أن تقوى شوكة السنوسية لدرجة تهدد معها الخلافة ذاتها إذا رغبت فعل ذلك.[2]

انّ اعتراف الدولة العثمانية بالطريقة السنوسية منذ عهد المؤسس الأول و كذا في عهد خلفاءه لا يعني أن الدولة العثمانية لم تكن مرتابة من هذه الحركة، فالأتراك لم يكونوا منخدعين ... ولم يكونوا يصدقون أنّ السيد المهدي السنوسي يحبهم ولكن كانوا واثقين من أن الطريقة والبدو إذا جد الجد سيساندونه ضد أي قوى مسيحية.[3]

ثانيا: محمد المهدي السنوسي والسلطان عبد الحميد

---

(1) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 71 .

(2) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص ص 76-77 .

(3) ايفانز بريتشارد: المصدر السابق، ص 35 .

1- علاقة السلطان عبد الحميد بالمهدي السنوسي

أ- شكوك السلطان عبد الحميد في حركة المهدي :

باعتلاء عبد الحميد الثاني كرسي عرش الخلافة العثمانية في 1876م، قام تطبيقا لسياسته الإسلامية وانسجاما مع طبيعته الشاكة بجس نبض المهدي، بأن طلب منه إرسال نجدات [1] ومد يد العون لدولة الخلافة في حربها ضد روسيا [2]، وذلك عن طريق الرسال قوة من رجاله من الأقطار البرقاوية الطرابلسية عام 1877م[3]، ولا شك أن السلطان عبد الحميد قصد من طلبه هذا معرفة موقف المهدي منه وفي الوقت ذاته كشف استعداد السنوسية الحربي ولكن المهدي لم يتمكن من اجابة السلطان – كما يقول الأشهب – لانشغاله بأداء رسالته، ولا يذكر الأشهب كيف كان أسلوب رد المهدي، ولو أنه من الواضح أن الرد كان بأسلوب دبلوماسي، لأنه هذا هو أسلوب المهدي في مرسالاته [4]، رغم أن السنوسية كانت ترى وجوب مساعدة تركيا باعتبارها دولة الخلافة لو كان ذلك في وسعها إلا أنها لا تريد أن تغامر بنفسها وتغامر بمستقبلها وهي في المرحلة الأولى، فتنهار دعوتها التي تسعى من خلالها لإصلاح الأفراد وفق الدين السّوي .[5]

إن امتناع السيد المهدي عن مساعدة الدولة العثمانية جعل من شكوك السلطان عبد الحميد تزيد اتجاه تصرفات المهدي السنوسي، مما أدى بالسلطان إلى إرسال الرسل إلى الإمام المهدي السنوسي للوقوف على حقيقة أمره، وقد بذل السلطان عبد الحميد الثاني جهدا كبيرا في سبيل التعرف على طبيعة الحركة السنوسية وحقيقة نواياها، وأهدافها، ومدى استعداد زعيمها للوقوف إلى جانب دولة الخلافة.[6]

---

(1) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص 207 .
(2) الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 109.
(3) محمد علي الصلابي: الحركة السنوسية في ليبيا سيرة الزعيمين محمد المهدي وأحمد الشريف، ص 31.
(4) أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص 207.
(5) الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 109.
(6) محمد علي الصلابي: الحركة السنوسية في ليبيا سيرة الزعيمين محمد المهدي وأحمد الشريف، ص 31.

ومما زاد من شكوك السلطان العثماني اتجاه الحركة محاولات الدول الأوروبية التدخل لدى الباب العالي وضغطهم عليه للحد من نشاط السنوسية، ومحاولاتهم لديه للإيقاع بينهم بتشويه حقيقتها وتخوفيه من نجاحها، وبذلك كانت الشكاوي التي قدمت من طرف الدول الأوروبية ضد السنوسية الأمر الذي أقلق السلطان العثماني وجعله يكون شديد الحرص على معرفة حقيقة السنوسية، بالإضافة إلى اضطراب الأوضاع الخاصة بالدولة العلية خاصة فيما يتعلق بفقدانها لممتلكاتها (مصر – تونس ...)،[1] وتبرز محاولات الدول الأوروبية في تشويه صورة الطريقة السنوسية هو نسب الرحالة الفرنسي " دوقرييه " مقولة" الترك والنصارى أني أقاتلهم معا وأضربهم ضربة واحدة " إلى السنوسية زورا وبهتانا على لسان سيدي الأخضر بن مخلوف، وكذلك من المفتريات التي ظل أعداء السنوسية يرددونها مدة طويلة قولهم أن الطريقة كانت تعتبر اغتيال أي مسيحي عملا طيبا يستحق فاعله كل الثناء والمكافأة.[2]

وبذلك فإن "دوقرييه" اتهم السنوسية بعدة تهم وبالغ في تخيلاته، ولأنه رأى في حركته خطرا عظيما يهدد مصالح فرنسا بصفة خاصة ومصالح المسيحية بصفة عامة في إفريقيا، بالإضافة إلى اتهامها بكل عميات اغتيال بعض الرحالة الأوروبيين، فانه اتهامها بأنها الداعم الأول لجميع الثورات في الجزائر، وقد وافق بعض الرحالة لوي رين على بعض هذه التهم ورددها كتاب آخرون.[3]

ب- تقارير الولاة حول المهدي السنوسي والسلطان عبد الحميد:

بدأ السلطان عبد الحميد الثاني سياسته اتجاه المهدي السنوسي، بطلبه من الولاة إرسال التقارير حول حركة المهدي في طرابلس الغرب، وذلك لموافاته بالمعلومات الكافية حول الحركة ونشاطها، وأهم هذه التقارير:

***تقرير كمال باشا:**

(1) أحمد صدقي الدجاني: المرجع السابق، ص 203.
(2) محمود فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 67 .
(3) محمد علي الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 183 .

هو تقرير والي طرابلس " كمال باشا " (1893-1898)،[1] حيث كان التقرير ردا على الأخبار التي وصلت إلى الوزارة في الباب العالي حول وجود نشاط مسلح في الزوايا فأرسلت مفتشا إلى بنغازي للتحقيق فالأمر دون استشارة الوالي، فكان أن بعث الوالي بالتقرير مبديا عدم رضاه بتعيين المفتش لأن ذلك يسيء إلى العلاقة بين السلطة المحلية والسنوسية ومبينا حقيقة نشاط الحركة وطالبا سحب المفتش، فهو يقول " ... بعد البرقية التي أرسلتها لكم في إعادة حامد أفندي الذي عينتموه مفتشا للزوايا السنوسية في برقة وبينت لكم أن إقامته غير مرغوب فيها ورجوتكم – برقيا- سحبه. وقد تسلمت برقيتكم بالشفرة التي بينتم فيها أن الزاوية الكبيرة مجعولة في شكل ثكنة واستحكامات وأن أكثر من ثلاثمائة عبد متعلم يصنعون البارود والأسلحة ويخزنوها وان أعمال كهذه تسبب لنا مشكلات في المستقبل.

والحال هو في هذه الزوايا تلاوة القرآن وأصول الدين وباقي العلوم تعلم الصبيان والطلاب، وقد ظهرت هذه الزوايا في تحويل عربان البادية وعرفوهم شرف الدين والدنيا ويعلمونهم أصول المذهب والشريعة والإطاعة لأولي الأمر وبهذا خدموا الإنسانية والإسلام وهم على أتم ورع وصلاح. وليس لهم ما يغابر الشريعة، وليس لهم أطوار مخالفة للتابعية للخلافة.

أما الزاوية مجعولة على شكل استحكامات وأن الزاوية الرئيسية يصنع فيها البارود فهذا كله كذب وافتراء. إنها في الحقيقة دار علم وصلاح ولا يتوقع أن يجعل فيها شيء من هذا في المستقبل، وهؤلاء العلماء لا يمكن أن ينسب إليهم ما قلتموه لأنهم ناذرو الوجود ومثال للعلم وعملهم نشر العلم.

أما حامد أفندي فهو غير مقتدر وقد أثار العلماء، وهو يسكن بنغازي التي تبعد ثمانية أيام عن الزاوية الكبرى ووجوده في بنغازي يأخذ المعاش دونما عمل كل هذا فيه مضرة ولا فائدة منه، وضرره في أن الناس يتساءلون عن سبب تعيين الحكومة مفتشا عليهم فيتشوش بالهم لذلك اسحبوا حامد أفندي برقيا".[2]

وبالتالي فان تقرير الوالي كمال باشا قد أكد على الفوائد العلمية والاجتماعية التي حققتها زوايا الحركة السنوسية المنتشرة في الصحراء الكبرى بين أعراب البادية

---

(1) محمد علي الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا سيرة الزعيمين محمد المهدي و أحمد الشريف، ص 31.

(2) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص ص 204-205 .

ورفع مستوياتهم الدينية الخلقية والثقافية، كما أكد الوالي على انقياد الحركة بزواياها وقياداتها إلى دولة الخلافة العثمانية.[1]

***تقرير متصرف بنغازي ونائبه:**

أرسل نائب بنغازي إلى والي طرابلس بتاريخ 4 محرم 1291 ه عن طريق متصرف بنغازي الذي أرفق معه تقرير آخر، وموضوع التقريرين، واحد هو ابداء الرأي في السنوسية، أما النائب فيقدم لحديثه بقوله "أما معلوماتي بحق المهدي فاني أعرضها بصفة سرية جدا، وقد طلبتم ذلك وأنا أدلي بمعلوماتي التي تحصلت عليها منذ وقت تعييني حتى الآن"، ثم يتحدث عن انتشار السنوسية على يد المهدي ويقول أن العربان يعتبرون المهدي المرجع المطلق ويعتقدون أنه مهدي الزمان، ثم يتحدث عن زراعة الزوايا ودخول الوثنيين في الإسلام على يد السنوسية. وأما المتصرف فهو معجب بالسنوسية ورأيه في سياستها أنها" درس وتعليم وإرشاد بالقول والعمل وليس هناك إمارة تدل على غير ذلك، والمهدي أكثر حماسا لإسكان السكان الرحل وتوطينهم وتعليمهم" ويختم المتصرف رأيه بما يوضح أن السبب في طلب الباب العالي للتقارير من الولاة عن السنوسية هو تدخل الأجانب، فهو يقول "إن الأجانب كلما رأوا قوة الإسلام في منطقة يبدؤون في التدخل لأن الأجانب المستعمرين رأوا أن من يحاربهم هم المؤمنون المسلمون .وفي رأيي أن مثل هؤلاء الناس الذين يجمعون شمل البدو ويعلموهم يجب على الحكومة أن تستميلهم وتعاونهم".[2]

***تقرير رشيد باشا وصادق المؤيد:**

أوفد السلطان عبد الحميد بعثة برئاسة رشيد باشا والي بنغازي ومعه الصادق المؤيد العظم أحد ياورات السلطان إلى واحة الجغبوب في ليبيا وذلك عام 1889م / 1308 ه،[3] وقد سأل رشيد باشا أحد الإخوان وهو محمد البسكري عما اذا كان لدى المهدي أسلحة فأجابه البسكري: "نعم ان لديه مخازن من الأسلحة، وأخذه إلى مخازن الكتب وفتحها له" وفي رواية أخرى أن رشيد باشا أبدى للمهدي تخوف السلطان من وجود خزائن ملأى بالأسلحة عندهم فقام المهدي

---

(1) محمد علي الصلابي : تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا سيرة الزعيمين محمد المهدي وأحمد الشريف، ص 31.

(2) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص ص 206-207 .

(3) محمد علي الصلابي : تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا ، ص194.

وفتح خزائن الكتب وقال: "هذه خزائننا"، و سؤال رشيد باشا يدل على أن الباب العالي كان متشوقا لمعرفة صحة الأخبار التي بلغته عن تسليح الإخوان و اقامة الثكنات، وعلى كل فقد اطمأنت البعثة تماما بحسن نية المهدي ازاء الدولة العلية [1]. وقد نقل أرسلان عن الصادق المؤيد

و الذي حدثه عن تلك الرحلة وعن ما لقوه في الجغبوب و " أن السيد المهدي السنوسي لم يكن إلا داعيا ومرشدا وأنه دائما يدعو بالتأييد للدولة العثمانية و توفيق الحضرة السلطانية ". [2]

ج- اعتراف السلطان عبد الحميد بحركة المهدي السنوسي :

إن مفعول تطمين وقفد رشيد باشا لم يدم طويلا، اذ ما عاد السلطان إلى مضاعفة الاهتمام بمتابعة أخبار الحركة، ويرى أرسلان أن السبب في ذلك هو زيادة تدخل الأوروبيين لدى السلطان، و قد تكون طبيعة السلطان المطبوعة بالشك سببا آخر أيضا، ولو أن أرسلان يقول انّ السلطان العثماني كان يماطل الدول الأوروبية ويلاطف السنوسي، كما يقول " كان الأوربيون في عهد السلطان عبد الحميد يشكون إلى السلطان عبد الحميد يشكون إلى السلطان حركة السنوسي

ويتوجسون خيفة من تشكيلاته و حركاته ... و طالما ضغطت دول أوروبا على السلطان لأجل أن يستدعي سيدي المهدي إلى الآستانة و يأمره بالإقامة بها ولا يأذن له بالعودة إلى وطنه ليخلو للأوروبيين الجو في تقسيم أواسط افريقيا ... فكان السلطان يماطل هاتيك الدول ويعتذر لهم بصنوف الأعذار، بل كان يلاطف السنوسي كثيرا بالهدايا و الكتابات ..." .[3]

حين اطمأن السلطان عبد الحميد الثاني إلى صدق توجه الحركة السنوسية لدولة الخلافة العثمانية وإخلاصها في العمل لسياسة الجامعة الإسلامية، بعث السلطان عبد الحميد إلى المهدي السنوسي رسالة تتضمن أسس حركة الجامعة الإسلامية وحقيقة أبعادها وأهدافها والدور الذي يمكن للحركة السنوسية أن تقوم به ضمن

(1) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص ص 208-209 .
(2) لوثروب ستوارد : المصدر السابق، ج 2، ص 142 .
(3) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص ص 209-210 .

هذه السياسة [1]. سعى السلطان إلى استمالة رؤساء هذه الحركة منذ 1980م، خاصة وأن الظروف المحيطة بالدولة العثمانية كانت مضطربة بسبب زيادة وتيرة التوسع الأوروبي في قارة إفريقيا حيث ممتلكاتها التي بدأت تفقدها، كل ذلك أدى بالباب العالي إلى يعيد النظر في علاقته بالحركة السنوسية.[2]

وأكد السلطان في رسالته على أهمية الخلافة والإمارة الإسلامية المقدسة التي أثبتها الله في البيت العثماني منذ مئات السنين، وما افترضه الله على المسلمين من نصرة لهذه الخلافة وتأييدها وطاعة ولاة الأمر القائمين على أمرها ولا سيما في مثل هذه الظروف التي حيط بالعالم الإسلامي، والتي جمع فيها من سماهم السلطان "الأغيار من الكفار والملاحدة والمارقين والمفسدين في جميع الأقطار يتحزبون ويتوالون في السر والعلن خصومة للسنة والسنية وعزما على هدم منار الخلافة العثمانية الإسلامية، ويأبى الله إلا أن يتم نوره،" وحذر السلطان عبد الحميد محمد المهدي من عمليات التسلل الأوروبي إلى داخل القارة الإفريقية تحت شعار الكشف الجغرافي، والبحث العلمي من جانب الانجليز والايطاليين وغيرهم، مبينا المقاصد المضرة بالدين وبالمسلمين من قبل هؤلاء.[3]

بعد انتقال المهدي السنوسي من واحة الجغبوب إلى الكفرة في أقصى الجنوب من ولاية طرابلس 1895م، أرسل أحد أتباعه وهو "عبد العزيز العيساوي" إلى استانبول، لتأكيد إخلاصه وولائه للسلطان العثماني، و ليطلب منه تأكيد الفرمانات التي صدرت من قبل للسنوسيين.

أصدر الباب العالي أوامره في إجراء التأكيدات لولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي في التزام الاهتمام

والرعاية والاحترام اتجاه الحركة السنوسية وأتباعها، وتقديم فريد العناية بكافة الزوايا، وقد أرسل مع الشيخ العيساوي هدايا للمهدي السنوسي من صحيح

(1) علي محمد الصلابي : تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ص 32 .
(2) بروشين : المصدر السابق، ص 350 .
(3) علي محمد الصلابي : تاريخ الحركة في إفريقيا، ص 195 .

البخاري له خاصة، خلاف عشر نسخ أخرى تعطى من قبله لمن يرى فيه الأهلية.[1]

وكرد على زيارة موفد السنوسي للباب العالي السيد عبد العزيز العيساوي، وفي شهر ذي الحجة من سنة 1312ه/مايو 1895م أرسل السلطان عبد الحميد مأمورا من رتبة أمير أمراء[2] وهو صادق بك المؤيد ياور حظرة السلطان إلى الكفرة، يحمل معه الكثير من الهدايا النفيسة و كتبا خاصة وهذه الزيارة الثانية من الصادق بك المؤيد، فالأولى كانت بالجغبوب سنة 1308ه / 1889م، كانت هذه الزيارة الثانية للصادق بك بعد تحول المهدي إلى الكفرة لا تخلو من جس النبض و لها علاقة بالموقف و تتصل بالموقف الذي جاء به في المرة الأولى [3]، إلا انه في هذه المرة حمل معه أمر شهاني بالاعتراف بإمارة السيد المهدي السنوسي على واحات الكفرة و ملحقاتها تشريف له و رفعة لقدره، و قد كانت المقابلة بين المندوب و السيد السنوسي في زاوية الجوف ببلدة الكفرة، مما يدل على ما كان السيد المذكور من المنزلة الرفيعة و جلائل الأعمال.[4]

و مما ذكره الصادق المؤيد العظم في رحلته عن المهدي " أنه شيخ صادق لمقام الخلافة، وحسب وصيته والده، فهو في كل صباح عقب الصلاة يجري الدعاء بالصحة و العافية لخليفة المسلمين، ثم تقرأ الفاتحة، و ذلك في جميع الزوايا، وهو دائما يوصي أتباعه بطاعة أمير المؤمنين، ومحبة الدولة العثمانية، لأن طاعته واجبة شرعا و عقلا ".[5]

2- سياسة المهدي اتجاه الدولة العثمانية:

حرص المهدي على أن تكون علاقته بدولة الخلافة، كما حرص على أن تتجاوز هذه العلاقة حدود الرسميات، و استطاع إلى حد كبير أن يوفق بين

---

(1) محمد علي الصلابي : نفسه، ص ص 31-32.
(2) الحشائشي : المصدر السابق، ص 164.
(3) الطيب الأشهب : برقة العربية أمس و اليوم،، ص ص 230-231 .
(4) محمد ابراهيم لطفي : المرجع السابق، ص ص 26-27 .
(5) محمد علي الصلابي : تاريخ الحركة في ليبيا سيرة الزعيمين محمد المهدي و أحمد الشريف، ص 51 .

سياسته الانعزالية وبين إرضاء الدولة، فلم يصطدم بها و لم ينخرط معها بصورة يفقد معها كيانه المتين، وخط انتمائه هذا إنما هو تتمة لخط سير والده في هذه المسألة، فبالرغم من أن ابن السنوسي كانت له نظرته الخاصة في شرعية الخلافة إلا أنه حرص منه على حركته وعلى مصلحة المسلمين، و أقام علاقات طيبة مع ولاتها المتتابعين على طرابلس، وبادلته الدولة هذا الموقف الحسن فأعفت زوايا السنوسية من الضرائب، كما سارت الأمور بين الحركة السنوسية والدولة العلية في سيرا طيبا في عهد ابن السنوسي، فإنها استمرت على الصورة نفسها بعد تولي المهدي رئاسة الحركة، وبقيت كذلك من أن عوامل جديدة تدخلت لتعكير الجو و إثارة العواصف بينهما، ومع أن هذه العوامل نجحت في بذر الشك أحيانا بينهما إلا أن الغيوم كانت تبدد دون أن تثور الزوابع. [1]

أما بالنسبة لسياسته فقد كرّس المهدي جهوده للبناء الداخلي في الحركة واختط طريقا سلميا تجنب فيه قدر المستطاع الاحتكاك بالقوى المحيطة به، وبذلك فان المهدي لم يعمل على معاداة الدولة العثمانية و في نفس الوقت لم يرض بالتحالف معها، وقد قصد من ذلك تجنب المشاكل التي يمكن أن تحدث نتيجة المعاداة أو التحالف، مما جعل المهدي يوجه جل اهتمامه للعمل داخل حركنه لتحقيق هدفه الذي هو نشر دعوته و تعزيز قوته .[2]

إن سياسة العزلة التي اعتمدها المهدي اتجاه الدولة العثمانية فكانت بسبب أن المهدي رأى أن أية صلة بالدولة العلية ستسبب له عدة متاعب و تشغله عن تحقيق اهدافه، فاذا كانت الصلة تحالفا وجب عليه أن يعين الدولة في حربها، و هذا ما حدث مع محمد علي باشا مع الدولة، كما أن الحرب ستشغل الحركة عن إتمام البناء، و إذا كانت الصلة صداما تنج عنها حرب مسلمين لدولة مسلمة، و هذا ما حدث لمحمد علي باشا عندما خاصم الدولة، مما يسبب أضرار و يضيع الجهود في غير طائل و يتيح للأجنبي أن يتدخل. [3]

ثالثا: التعاون التركي العثماني في عهد المهدي:

---

(1) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص 203 .

(2) نفسه، ص 192 .

(3) أحمد صدقي الدجاني : المرجع السابق، ص 194 .

أطلق يوهانس بريتشارد على تعاون الادارة التركية بالفئة السنوسية العليا اسم " الكومندومينيوم " " Condominion" التركي السنوسي، و يقصد بذلك الحكم المشترك، خاصة فيما يتعلق بإخضاع البدو فقد كان تحت تصرف الوالي العثماني في طرابلس قوات عسكرية قليلة في وقت كان السنوسيون يتمتعون بنفوذ خلقي – ديني عال على سكان برقة، و عليه فان الجمع بين القوة العسكرية و الدعاية الدينية كان مساعدا على اخضاع البدو بالجهود المشتركة.[1]

و بذلك فانه من الرغم من الخلافات الدينية السياسية الحادة مع الأتراك فان محمد المهدي السنوسي كان هو الحاكم المجرب المرن، يؤيد العلاقات الودية مع السلطان ما دام ذلك في حدود الإمكان، فكان يدرك أن العداء المعلن معه لا يمكن أن ينتهي إلا بهزيمة الجمعية، ففي مراسلاته مع شيوخ الزوايا و زعماء القبائل كان يؤكد على ضرورة تأييد أوامر الادارة التركية، و في رسالته إلى شيخ قبيلة العواقير 1899م طالب بأن توقف القبيلة المقاومة التي بدأتها ضد السلطات التركية مادام بإمكان الدول الأجنبية استغلال هذه التحركات لمصالحها كما حدث مثلا في مصر حيث استغل الانجليز تحركات عرابي باشا للاستيلاء على البلاد، و نتيجة الزيارات المتكررة للمثلين الرسميين إلى الجغبوب و الكفرة و المراسلات الطويلة الأمد تم التحالف بين السنوسيين و السلطات التركية .[2]

و بالمقابل رأى السلطان عبد الحميد في الحركة السنوسية قوة منتظمة و معدة اعدادا ماديا و معنويا جيدا، يمكن استغلالها في المواجهة العسكرية المتوقعة مع أعداء الدولة العثمانية في شمال افريقيا، و أعرب عن ذلك قائلا " واذا كان أحد عليه الدفاع عن حقوقنا فهو الشيخ السنوسي، لأنه قادر على أن يجمع حول ثلاثين ألفا من الرجال، ولن يتخلى عن بنغازي إلا بعد القتال، ثم ان صلته بمئات الألوف من أتباع الطرق والمريدين قوية، فاذا أقام السنوسيون قوتهم، فلا بد أن يجروا

---

(1) بروشين : المصدر السابق، ص 351.

(2) نفسه، ص 349 .

الايطاليين إلى صراع دموي أشد مما شهدته السودان في ثورة المهدي، لقد جهزنا السنوسي بمقدار كاف من الأسلحة و الذخائر فهم قوة لا يستهان بها أبدا ".[1]

حرص السلطان عبد الحميد على تقوية الحركة السنوسية و دعمها ماديا و معنويا [2]، خاصة و أن السنوسية قد وجدت أتباعا أقوياء لها في الأستانة من أهمهم أحد كبار الطرابلسيين وهو الشيخ "محمد بن جعفر" أستاذ السلطان القديم و صاحب الأثر الظاهر في سياسة الدولة الإسلامية (1883-1879م)، و كذلك وجت السنوسية اتباعا لها بين كبار رجال الدولة الآخرين منهم "رضا بك " أحد أعضاء المجلس الخاص . كما ظهر نفوذ السنوسية في الآستانة لم يلبث طويلا ان عظم شان شيوخها ومقدمي زواياها في الأقطار الليبية، فكان مقدم الزاوية في بنغازي " سيدي عبد الله بن زناد المريني " هو صاحب الكلمة العليا (1884م) و ليس المتصرف أو الحاكم التركي بجانبه أي نفوذ أو سلطان، بل ان كبار موظفي الترك وحكامهم صار لا يعنيهم في هذه الآونة سوى ارضاء السنوسيين و كسب مودتهم و صداقتهم حتى ان والي برقة العثماني "علي كمال باشا" كان يعتبر نفسه " أولا وقبل كل شيء خادما للسيد السنوسي، ومن أتباعه، ثم موظفا و حاكما عثمانيا فيما بعد"، وعندما نصّب بعده " رشيد باشا" واليا على برقة (1888م)، وكان من الإخوان السنوسيين عظم شأن السنوسية، لأن " رشيد باشا" كان لا يقل عن سابقه بطبيعة الحال ولاء وإخلاصا للسنوسية وسياستها في، وهكذا استمر مقدم السنوسية في بنغازي " عبد الرحمن المقبوض" يتمتع بكل نفوذ وسلطة بأمر من الحكومة العثمانية و أما مقدم السنوسية في طرابلس فكان في ذلك الحين " سيدي حمزة بن جعفر" شقيق الشيخ " محمد بن جعفر" مستشار السلطان عبد الحميد السابق، وعلى هذا فان السلطة الحقيقة من روحية وزمنية على الأهليين كانت بأيدي السنوسية.[3]

---

(1) سميرة بوزبوجة : **الطريقة السنوسية 1911-1951م و مواقفها من قضايا العصر محليا – اقليميا – دوليا**، رسالة دكتوراه، في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018، ص 51 .

(2) نفسه، ص 51.

(3) محمد فؤاد شكري : المرجع السابق، ص ص 79-80 .

المبحث الثالث: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد أحمد الشريف

أولاً: اضطراب العلاقات السنوسية العثمانية في عهد أحمد الشريف:

رغم الائتلاف التركي السنوسي في ادارة برقة، إلا أن الصراع كان يتولد من حين لآخر، وكانت المناسبة الأكيدة لبروز هذا الصراع هي ظهور أي محاولة من جانب الادارة لفرض الضريبة على الممتلكات السنوسية، فرغم أن هذه الممتلكات كانت معفاة من الضرائب حسب فرمان السلطان إلا أن الادارة المحلية تبذل جهودا غير ناجحة لتقاضي الضرائب عليها،[1] فقد كان رجال الحكومة العثمانية المركزية يحبون أن يكون الخضوع لهم أوفى و أتم، ومما هو جدير بالذكر أنه كان للحكومة عدة محاولات في الأمر [2]، و كانت المحاولة الثانية سنة 1908م حيث حاول الأتراك فرض ضريبة على غلال الأراضي السنوسية، و عند ذلك تم اجتماع قبلي حضره مائة و خمسون شيخا على رأسهم " عمر بورقيبة " من قبيلة " درسة " و عقد الاجتماع بزاوية " الحنية " السنوسية، وفيه قرر المجتمعون إلا

---

[1] ايفانز بريتشارد : المصدر السابق، ص 38 .

[2] نيقولا زيادة : إفريقيات، ص 252 .

يدفعوا أية ضريبة للحكومة التركية إلى أن تسحب ضريبتها الجديدة، وأسقطت الحكومة القضية ... لكن المشاكل استمرت حتى سنة 1910م. و قبل ذلك حاول الوالي أحمد باشا زهدي (1905-1904م) بموجب تعليمات من اسطنبول أن يفرض ضريبة على محاصيل رجال القبائل

والزوايا على السواء، فهاجم البدو المحيطون بالمرج من جراء ذلك فصيلة تركية كلفت بجمع الضرائب وردوا أفرادها إلى بنغازي بعد أن جرّدوا من كل شيء كان موجود معهم، و كانت النتيجة أن أعفي الوالي من منصبه. [1] ان المقاومة القوية للسنوسيين اتجاه هذه المحاولات، جعلت السلطات الرسمية تترك مثل هذه المحاولات. [2]

ويشير محمد فؤاد شكري في كتابه " السنوسية دين و دولة " إلى اضراب العلاقات العثمانية السنوسية في سياق حديثه عن الحرب بين السنوسية و الفرنسيين قائلا " ... فقد نشأ من عدم تعكر العلاقات بين فرنسا و تركيا أو انقطاعها على الرغم من قيام الحرب بين السنوسيين، وهم أهل " ولاية " من ولايات الدولة و بين الفرنسيين، الذين اشتبكوا مع أقوام هم من " رعايا " السلطان و لا يزالون يعترفون بسيادة الشرعية عليهم، وضع يبدوا لأول وهلة غريبا، ولكنه سرعان ما يظهر على حقيقته عند إمعان النظر، وذلك إذا تذكرنا أن السنوسيين في معاقلهم البعيدة سواء في الكفرة أو في قورو كانوا أصحاب السلطان المطلق ولا تستطيع الدولة أن تحد من نشاطهم لو رغبت في ذلك، أو تستطيع فرنسا أو غيرها تنفيّ مآربها بالطرق الدبلوماسية عن طريق الباب العالي إذا حاولت هذا..".[3]

ثانيا: عودة العلاقات بين أحمد الشريف والدولة العثمانية :

كانت السنوسية قد رفضت السماح للعلم التركي أن يرفرف فوق الجغبوب والكفرة ولم تسمح لمندوب تركيا أن يقيم في تلك الواحات رغم الكثير من الجهود التي بذلت لإقناع السنوسيين بذلك حتى أن " علما " أرسل إلى الكفرة لهذا الغرض على يد "عمر الكيخا " سنة 1908م[4]، لكن ادراك السيد أحمد الشريف لمدى خطورة

(1) ايفانز بريتشارد : نفسه،ص 39.
(2) نيقولا زيادة، نفسه، ص 252.
(3) محمد فؤاد شكري : المرجع السابق، ص 101 .
(4) ايفانز بريتشارد : المصدر السابق، ص 42 .

التهديد الفرنسي، و لاسيما عقب احتلال طرق القوافل المؤدية من " بارقمي " و " النيجر " و " كانم " و " وادي " نحو ليبيا، جعله في آخر الأمر يدفن خلافات السنوسية القديمة مع الأتراك من أجل الوقوف معا في مواجهة هذا الخطر المشترك .[1]

لم تكن السنوسية تتمتع بوضع دولي يمكنها من الاحتجاج إلى الدول الغربية ضد تقدم الفرنسيين في أواسط افريقيا واحتمال اعتداء ايطاليا على الشواطئ البرقاوية نفسها، لذلك وبسبب بعد نظر زعيمها السيد أحمد الشريف [2] وافق السيد سنة 1910م على استقبال قائمقام تركي في الكفرة شريطة أن يكون الرجل سنوسيا، كما وافق على أن يرفع العلم التركي هناك، و قد بعث اليه متصرف بنغازي

واسمه " مراد فؤاد بك " السيد " الكيلاني أطيوش " و هو عضز من العائلة البارزة في قبيلة سنوسية، وقد أخبرني الوجيه البنغازي " حسن باشا البسكري " أنه بعد أن أنزل الايطاليون جنودهم في برقة، وفي سنة 1911م، بعثت الادارة التركية اول وآخر مدير إلى الجغبوب، وكان هذا شيخا قبليا سنوسيا بارزا اسمه " الحسين بوبكر بوحدوث " البرصعي، و قد رفع الراية التركية للمرة الأولى

والأخيرة في القرية المقدسة. كما ركز حول مقره بضعة أفراد من الشرطة.[3] (أنظر الملحق رقم 06)

بالإضافة إلى أنه عندما الأتراك أنهم عاجزون عن المقاومة بدون تأييد السنوسي، لا في الصحراء فحسب في ليبيا أيضا. اذ كيف بوسعهم امداد حامياتهم هناك دون السيطرة على البحر، لذا أظهروا لهفتهم العظيمة لكسب السيد أحمد الشريف السنوسي إلى جانبهم و منحوه امتيازات جديدة بالإضافة إلى سابقاتها، ففي 1910م اقترح متصرف بنغازي أن يجعل للسنوسي منحة شهرية قدرها 4000 قرش، كما أرسل والي طرابلس رسالة مشفرة إلى ممثليه في مختلف أنحاء

(1) آ.ف.دي كاندول : المرجع السابق، ص 14 .
(2) نيقولا زيادة : نفسه، ص 253 .
(3) ايفانز بريتشارد : المصدر السابق، ص ص 42-43 .

الإقليم يسألهم عما كانوا يعتقدون أن الطريقة السنوسية على قوة كافية لأن تطالب بامتيازات إضافية .[1]

ثالثا: مساندة أحمد الشريف السنوسي للدولة العثمانية:

لقد أساء الايطاليون فهم موقف السنوسية من الدولة العثمانية، فحسبوا أنهم إن جاؤوا برقة فسيهب السكان لنصرتهم ليتخلصوا من نير الحكم التركي، و فات الايطاليين أن يدركوا " الولاء " الذي كان البدوي يكنه لهذه الدولة، فالبدوي العربي يشعر بالولاء " للبيت " ضد " البيت " الآخر، لكنه متى تعرضت قبيلته لخطر انتقل ولاؤه لها ضد القبيلة المعادية، و لما كانت القبائل كلها تنظر للدولة العثمانية بشيء من العداء، أصبح ولاؤه لهذه القبائل مجتمعة ضد العثمانيين. على أن البدوي السنوسي و الدولة العثمانية بينهما رابطة ولاء أخرى مصدرها الإسلام، فإذا ما تعرضت الدولة لخطر وهبها ولاؤه و نصرته ضد من يعتدي عليها من الدول بالأوروبية، وهكذا لما اعتدت ايطاليا على ليبيا توحد الشعور القوي للولاء بين عرب ليبيا والدولة العثمانية.[2]

عندما أعلنت ايطاليا الحرب على تركيا في سبتمبر 1911م، وبادرت بإنزال قواتها في كل من مدن طرابلس والخمس[3] وبنغازي و درنة[4] وطبرق [5]، وكان ذلك العمل عدوانا أثار سخط العالم الإسلامي كله، وفي تلك الأثناء بعث السيد أحمد الشريف أوامره من الكفرة لحث السنوسيين على أن يهبوا لمساندة الحاميات التركية في مناطق بنغازي ودرنة، وهكذا أنشأ رجال القبائل المحلية حركتي مقاومة منفصلتين لا تنسيق بينهما في كل من طرابلس وبرقة واستمرت المقاومة

---

(1) ايفانز بريتشارد : نفسه، ص ص 43-44 .

(2) نيقولا زيادة : إفريقيات، ص 253 .

(3) الخمس : مدينة صغيرة تجاور مدينة لبدة من الشمال، و كان مكانها في عهد الروم ضاحية من ضواحي لبدة، و يقال أنها بنيت على جزء منها و هذا أقرب للصواب، و كانت في العهد التركي مركز متصرفية من الجهة الشرقية و المتصرفية في الاصطلاح التركي تساوي المديرية . ينظر الطاهر الزاوي : معجم البلدان الليبية، ص ص 125-126 .

(4) درنة : مدينة من مدن برقة المشهورة، و لأهلها نشاط في التجارة يفوقون فيها كل سكان برقة، و هي مبنية على لسان ممتد من الشمال إلى الجنوب، بها مرسى بحري صغير في جهتها الشرقية كانت ترسو فيه السفن على بعد قليل من البر . ينظر الطاهر الزاوي : نفسه، ص 130.

(5) طبرق : بلدة صغيرة في برقة، لا يعرف تاريخ تأسيسها على التحديد، و موقعها شرقي بنغازي بنحو 455كم و شرقي درنة بنحو 176كم، و تقع على الخليج المشهور بخليج طبرق . ينظر الطاهر الزاوي : نفسه، ص 217.

في السير على هذا المنوال طيلة فترة الكفاح الليبي ضد الايطاليين. وعلى الرغم من أن الحكومة العثمانية كانت عاجزة عن إرسال الإمدادات العسكرية نظرا للحصار البحري الذي فرضته ايطاليا على السواحل الليبية، إلا أن كثيرا من الضباط الأتراك استطاعوا التسلل داخل الأراضي الليبية حيث انظموا إلى القوات التركية الليبية المشتركة.[1]

لقد اتصل الباشا أنور بك[2] فور نزوله في درنة برؤساء الزوايا، وزعماء القبائل وشرع في ترتيب المعسكرات إداريا وعسكريا، تحت إشراف قادة المناطق ومجلس شيوخ السنوسية، ووزعت القبائل نفسها على مراكز الجهاد.[3] بقيادة أنور باشا كانت عمليات المجاهدين ضد ايطاليا في شرق ليبيا، أصبحت الجبهة الشرقية البرقاوية تشن هجومات مكثفة على الايطاليين، واتسمت العلاقة بين الحركة السنوسية ممثلة في أحمد الشريف وأنور بك ممثل الدولة العثمانية بالاحترام والتقدي، ويظهر ذلك جليا من خلال الرسائل التي كانت بينهما، والتي تتضمن تأييد السنوسية للدولة العثمانية .[4]

إن سبب عدم تدخل السنوسي في الحرب منذ البداية هو أنه كان متواجدا فالكفرة، إلا في نهاية 1911م و ذلك عندما عمم فيه منشورا في يوم 17 ديسمبر 1911م، يدعو فيه الناس لإعلان الجهاد، و قد و قد نقش منشور السيد أحمد على راية من الحرير يحملها المجاهدون من مكان لآخر بين القبائل الضاربة في الجنوب خصوصا، فكان من أثر هذا المنشور أن تدفقت جموع المجاهدين و المتطوعين إلى معسكرات العثمانيين، و أدان السيد أحمد الشريف العدوان و حث الناس على الوقوف ضده و محاربته بكل الطرق و الوسائل، إلا أن المسافة الصحراوية بين الساحل على البحر و الكفرة مقّر اقامته كانت سببا في تأخر اشتراكه في القتال، وإذ ما عرفنا أن المدة التي استغرقها السيد السنوسي هي شهرين تقريبا (منذ منتصف أكتوبر إلى منتصف ديسمبر)، و من ثم فان السيد

---

(1) ئي.آ.ف.دي كاندول : المرجع السابق،ص 15 .

(2) أنور بك : جنرال تركي ولد باستانبول سنة 1881م أكمل تعليمه الاعدادي بمدينة صونوق جشمة ' ثم انتسب إلى المدرسة الحربية و تخرج منها عام 1899م، برتبة ملازم، و في 1903م تخرج من المدرسة العسكرية برتبة ركن يوزباشي، ترفع إلى رتبة رائد في سنة 1906م . ينظر مصطفى نويهض : الحركة الوطنية في شرق ليبيا، المرجع السابق، ص 30 .

(3) سميرة بوزبوجة : المرجع السابق، ص 104 .

(4) مصطفى هويدي : المرجع السابق، ص 33 .

أحمد و منذ سماعه بالغزو الايطالي فانه قام محذرا ضده و حرّك الناس وحثهم على المقاومة . [1]

وقد أعد السيد أحمد منشورا خاصا وجهه إلى رؤساء الزوايا و رؤساء القبائل لكي يحظوا العرب على الجهاد، و قد طلب السيد السنوسي من كل عربي يبلغ الرابعة عشر إلى الخامسة و الستين الذهاب إلى ميدان القتال مزودا بمؤونته و سلاحه، و أن يخضعوا جميعا لأوامر أنور بك بصفته نائب السلطان و قائدا عاما، كما بعث إلى أنور بك برسالة خاصة جاء فيها ردا على خطابه " و قد كتبنا للإخوان و حرضناهم على المساعدة و عدم المخافة في اعلاء كلمة الله .[2]

إنّ ارتباط الحركة السنوسية بالدولة العثمانية كان اكثر من ضرورة بالنظر للظروف المحيطة بالجانبين، فرغم أن مؤسس الحركة كانت له نظرته الخاصة حول الخلافة وأنها يجب أن تكون من بيت قريش كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغم أن الدولة العثمانية كانت على يقين تام بأن السنوسيين يحملون عليها، إلا أن توافق المصالح أدى بكل منهما إلى التخلي عن فكرة العداء و المواجهة، و اختيار سياسة التعايش السلمي بينهما، و ذلك لتتمكن كل منهما من تحقيق أهدافها وفق اطار شرعي، و بذلك فان الطريقة السنوسية فضلت تجنب الصدام مع الدولة العثمانية حفاظا على كيانها، كما أن الدولة العثمانية فضلت احتواء الطريقة السنوسية بدل معاداتها، و ذلك خدمة لمصالحها في ايالتها طرابلس الغرب.

[1] مصطفى هويدي : المرجع السابق، ص 32.
[2] محمد فؤاد شكري : المرجع السابق، ص 138 .

خاتمة

خاتمة:

ومن خلال هذه الدراسة التاريخية الفكرية لعلاقات الطريقة السنوسية بالسلطة العثمانية نخلص إلى:

-تعد الطريقة السنوسية من أبرز الطرق الصوفية التي نشأت في طرابلس الغرب، وأكثرها انتشارا، والتي تنسب إلى المرابط الجزائري الأصل محمد بن علي السنوسي.

-تقوم الطريقة السنوسية على الاعتماد على الدين الإسلامي من منبعيه الرئيسيين, وهما الكتاب

(القرآن) والسنّة, حيث دعت الطريقة السنوسية إلى تحرير الفكر الإسلامي من التقليد الأعمى والتسليم العاجز وتطهير السنة المحمدية من الشوائب.

-تميزت الطريقة السنوسية عن غيرها من الطرق الصوفية التي غلب عليها طابع الابتداع في الدين, بأنها تدعو إلى إتباع الدين السوي القويم.

-ساعدت الظروف المضطربة التي كان يشهدها الشمال الإفريقي من احتلال أجنبيي وضعف لدولة الخلافة الإسلامية الدولة العثمانية على انتشار الطريقة السنوسية والتفاف الأفراد حولها (الإخوان والمريدين).

-لم يكن تأسيس محمد بن علي السنوسي لطريقته عفوياً أو حدثا عارضاً، بل كان تأسيسه لها بعد العديد من الرحلات العلمية والحجازية، وأخذه للعديد من الطرق الصوفية على يد أصحابها، مما جعل طريقته تتفادى العديد من الأخطاء التي ارتكبتها الطرق الصوفية التي سبقتها.

-يمكن اعتبار تأسيس محمد بن علي السنوسي لزاوية أبي قبيس في الحجاز1837م، الخطوة الأولى التي اعتمدها ابن السنوسي ليقوم بنقلة نوعية في مسار حركته الصوفية.

-بعد وفاة الإمام محمد بن علي السنوسي تولّى ابنهُ محمد المهدي الخلافة بعده والذي بلغت الطريقة السنوسية ذروة انتشارها في عهده وأوج تطورها، ليخلفه ابن

أخيه السيد أحمد الشريف، هذا الأخير الذي كان في تحدٍ دائمٍ مع الاحتلال الأجنبي (الفرنسي ثم الايطالي فيما بعد).

-اتّخذ محمد بن علي السنوسي "الزاوية" كوسيلة لتجسيد أفكاره الإصلاحية على أرض الواقع، والتي كان يهدف من خلالها إلى نشر الشريعة الإسلامية الصحيحة، وبالتالي فإنّ الزاوية هي التطبيق الفعلي لأفكار ابن السنوسي.

-للزوايا السنوسية فلسفة خاصة في تشييدها، حيث تراعى فيها العديد من العوامل منها السياسية خاصة الابتعاد عن أنظار السلطة العثمانية، والاجتماعية كأن تكون لكل قبيلة زاوية خاصة بها، وعوامل اقتصادية فيما يرتبط بالتحكم في الطرق الرئيسية للتجارة.

-تميزت الزوايا السنوسية بهيكلها الخاص، فلها تنظيم هرمي يشمل رئيس الزاوية و وكيله ومجلس الإخوان الذي يساعده بشكل متتالٍ, هذا من حيث التركيبة البشرية الخاصة بالزوايا، بالإضافة إلى احتوائها على العديد من المرافق على غرار المسجد والمدرسة القرآنية كبيت خاص لشيخ الزاوية وغرف خاصة لاستقبال الضيوف وغيرها من الهياكل المادية.

-ارتبطت الزوايا السنوسية بالمجتمع في ليبيا ارتباطا وثيقاً، وذلك بفضل نشاطها التعليمي الذي ساهم في تحرير العقول من نير الجهل، بالإضافة إلى دورها الاجتماعي البارز حيث شكلت من القبائل المتناحرة مجتمعا متماسكا وقوياً، كما ساهمت في تقديم الخدمات الاجتماعية من إطعام للفقراء، وإيواء للغرباء.

-شكلت الزوايا السنوسية همزة وصل بين السلطة المحلية الممثلة للدولة العثمانية ومجتمع طرابلس الغرب أي كانت عبارة عن جسر خاص بالعلاقة بين السلطة والمجتمع.

-تميزت العلاقات السنوسية العثمانية في عهد المؤسس الأول محمد بن علي السنوسي بالودية، فبالرغم من أنّ ابن السنوسي كان يرى أن الخلافة الإسلامية يجب أن تكون في يد قرشي وذلك تطبيقا لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه تحفّظ عن رأيه الشخصي، وحاول التعامل مع السلطة العثمانية وفق ما يخدم مصالح حركته بصفة خاصة وما يخدم العالم الإسلامي بصفة عامة.

-اعتمد الخليفة محمد المهدي السنوسي الوقوف على الحياد في تعامله مع الدولة العثمانية وذلك لأنه كان يرى أنّ من أولوياته تنظيم الأمور الداخلية لحركته، مما جعل السلطان العثماني عبد الحميد يتخوف من حركته ويقوم بمراقبتها عن كثب إلا أنّ تداخل المصالح الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية بينهما أدى إلى تحالفهما في كثير من الأحيان.

-اضطربت العلاقات السنوسية العثمانية في بدايات عهد أحمد الشريف بسبب المحاولات المتكررة للولاة المحليين والدولة العثمانية للتقليص من نفوذ السنوسية، إلا أن ذلك لم يدم طويلا، لتتوحد القوى السنوسية العثمانية لتواجه الأخطار الغربية خاصة الاحتلال الايطالي.

ومنه يمكن القول أنّ الطريقة السنوسية لم تكن طريقة صوفية حنفية فحسب، بل كانت حركة تعاونية ساهمت في تنظيم الحياة الاجتماعية تنظيما روحيا وعملياً، وقد كانت حركة سياسية في الوقت نفسه نظير علاقاتها الخاصة بالدولة العثمانية، الأولى بصفتها ممثلاً عن المجتمع المكوّن لطرابلس الغرب والثانية بصفتها دولة الخلافة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

1. الأشهب محمد الطيب: **برقة العربية أمس واليوم**، مطبعة الهواري، مصر، 1947.
2. : ـــــــ **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعمة حركة الإصلاح السنوسي**، مطبعة محمد عاطف، دط، القاهرة، دس.
3. الآنسة توليلي: **عشر أعوام في طرابلس**، تر: عبد الجليل الطاهر، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، 1967.
4. الأنصاري أحمد نائب: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، د ط، ليبيا، د ت.
5. بروشين نيكولاي ايلتشين ن، **تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين**، تر و تق: عماد حاتم، 2، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط2, 2001.
6. بريتشارد ايفانز :**سنوسي وبرقة**، تعر: عمر الديراوي أبو حجلة، تق: فضيل الهادي، مكتبة الفرجاني، ليبيا.
7. الحشائشي محمد بن عثمان: **جلاء الكرب عن طرابلس الغرب**، تق و تح: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط4، بيروت، 1965.
8. الزاوي الطاهر أحمد: **أعلام ليبيا**، دار الكتب الوطنية، ط3، بنغازي، ليبيا، 2004.
9. ستوداردلوثروب: **حاضر العالم الإسلامي**، تعر: عجاج نويهض، تعل: شكيبأرسلان، دار الفكر، ط 4،1973، مج1،ج2.
10. العقاد عباس محمود: **الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله**، نهضة مصر، دط، دت.
11. غير هارد روفلس: **رحلة إلى الكفرة**، تر: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، ليبيا، 2000.

المصادر باللغة الأجنبية :

1. James Hamilton : wanderings in northafrica،london، 1856.
2. Jean-louisTruaud:Lalégendre noir de la sanussiya : une confrérie musulman saharienne sous le regard francais 1840-1930 , La maison des sciences de Lhomme , paris , 1999 , tom1.
3. Napoléon Ney : Un Danger européen les Société Socrétes Musulmanes، carré، paris، 1890.

المراجع باللغة العربية :

1. براهم محمود: **العلاّمة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا1788-1859**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2009.
2. بعيو مصطفى: **دراسات في التاريخ اللوبي**، الجمعية التاريخية لخريجي كلية الآداب، د ط، القاهرة، 1953.
3. بن عبد القادر عبد المالك: **الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا**، دار الجزائر العربية، د ط، دمشق،1966.
4. بن موسى تيسير: **المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني**، الدار العربية للكتاب، د ط، ليبيا، 1988.
5. البهي محمد: **الفكر الإسلامي في تطوره**، دار التضامن للطباعة،ط2، القاهرة، 1981.
6. بيضون جميل،الناطور شحادة وآخرون: **تاريخ العرب الحديث**، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 1990.
7. جميعي عبد المنعم: **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 2007.
8. الجندي أنور: **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي**، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1983.
9. الحاجري محمد طه: **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1983.
10. حران تاج السر: **حاضر العالم الإسلامي**، اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، السعودية، 2001.
11. حميدة علي عبد اللطيف: **المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1998.
12. الحنفي عبد المنعم: **الموسوعة الصوفية**، دار الرشاد، ط1، 1992، ص 210.
13. الدجاني أحمد صدقي: **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، دار البيان، ط1، لبنان، 1967.
14. الزاوي أحمد الطاهر: **ولاة طرابلس من الفتح العربي حتى نهاية العهد التركي**، دار الفتح، ط1، بيروت، 1970.
15. زيادة نيقولا: **برقة الدولة العربية الثامنة**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1950.
16. ـــــــ:**إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**، دار رياس للكتب والنشر، 1991،ط1.
17. الشريف ناصر الدين محمد: **الجواهر الاكليلية في أعيان علماء ليبيا المالكية**، دار البيارق، ط1، 1999.

18. شكري محمد فؤاد: **السنوسية دين و دولة**، دار الفكر العربي،دط، 1948.
19. الشيخ رأفت: **تاريخ العرب الحديث**، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1994.
20. ـــــــ: **تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**، دار التنمية للنشر والتوزيع، ط1، ليبيا، 1972.
21. الصلابي علي محمد: **الحركة السنوسية في افريقيا**، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009.
22. ـــــــ :**الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا**، ج1، ط1، 2001.
23. ـــــــ:**تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا**، مكتبة الصحابة، ط1، الشارقة، 2001،.
24. ـــــــ : **سيرة الزعيم محمد المهدي السنوسي**، دار الروضة، ط1، 2017.
25. ـــــــ: **تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا**، دار المعرفة،ط3، بيروت، 2009.
26.
27. عمارة محمد: **تيارات الفكر الإسلامي**، دار الشروق، ط1، مصر،1991.
28. لطفي محمد: **تاريخ حرب طرابلس**، مؤسسة الأمير فاروق، ط1، مصر، 1946.
29. المحافظة علي: **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة**، الأهلية للنشر والتوزيع، دط، بيروت، 1987.
30. الموصلي علي جميل: **التحفة السنية في المشايخ السنوسية**، دط، مطبعة سرسم، الموصل، 1331.
31. هويدي مصطفى: **الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى**، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس، 1988.
32. يحي جلال: **المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال**، دط، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966.

المجلات والدوريات:

1. بوسليم صالح، ميسوم ميلود: **الحركة السنوسية وامتدادها عبر الصحراء الكبرى دراسة تاريخية**،في الواحات للبحوث والدراسات،العدد 15، جامعة غرداية، 2011
2. السلوقي سالم بشير: **الحركات والانتفاضات والثورات ضد الأتراك العثمانيين (1912-1555م)**، في "كليات التربية"، العدد19، نوفمبر 2020.

3. شلبي محمد، بن يوسف عبد الله: **تطور الحركة السنوسية ومبادئها في ليبيا**، في "مجلة المقدمة"، المجلد 05، جامعة مالايا، يونيو 2017.
4. مطهري فاطمة: **السياق الأنثربولوجي الديني في فكر السنوسي الإصلاحي والتربوي وأثره في التواصل بين الجزائر وباقي الأقاليم المغاربية والإفريقية**، في أنثربولوجية الأديان، المجلد 17، العدد15،01 جانفي 2021.
5. الويشي عطية: **العثمانيون بطرابلس الغرب: جدلية العلاقة بين المجتمع والدولة (1330-958ه/1551-1912م)**، في العربية للعلوم الإنسانية العدد 140،جامعة الكويت، خريف 2017.

الرسائل والأطروحات:

1. بن سالم عابد: **"إيقاظ الوسنان بالحديث والقرآن" للشيخ محمد بن علي السنوسي –دراسة وتحقيقا**، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018-2019.
2. بوزبوجة سميرة: **الطريقة السنوسية 1911-1951م ومواقفها من قضايا العصر محليا – إقليميا –دوليا**، رسالة دكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018.
3. دحدي سعود: **البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931)**، رسالة ماجيستير، في التاريخ المعاصر(أوروبا-مغرب)، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009-2010.
4. هاشمي آمال:**دور الإدارة الفرنسية في تلمسان وضواحيها ما بين1842-1897**، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018.

المعاجم والقواميس:

1. الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، المجلد1، ج1.
2. الزاوي أحمد الطاهر: **معجم البلدان الليبية**، مكتبة نور، ط1، ليبيا، 1968
3. نويهيض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة المؤسس محمد علي بن السنوسي

المصدر: أي.أف.دي كاندول: الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره, ص 23.

الملحق رقم: 02 صورة لزاوية الجغبوب

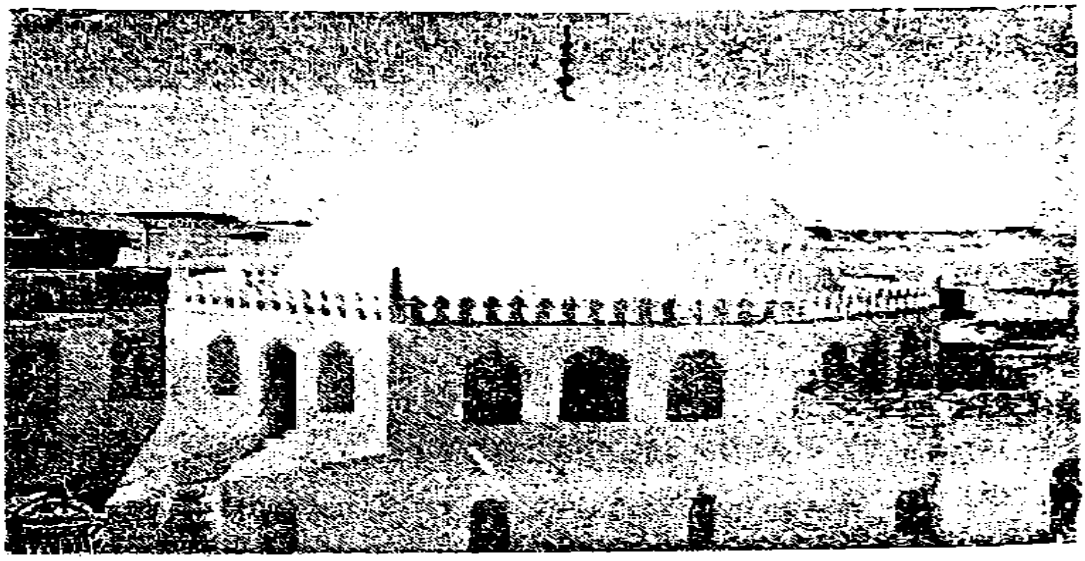

المنظر الخارجي للمسجد السنوسي بزاوية الجغبوب

منظر خارجي للمسجد بالجغبوب ويلاصقه الضريح الشريف
الذي يضم رفات الإمام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي

المصدر: الطيب الأشهب: السنوسي الكبير, ص 17.

الملحق رقم: 03 رسالة من السيد محمد بن علي السنوسي الى العلامة عبد الله التواتي

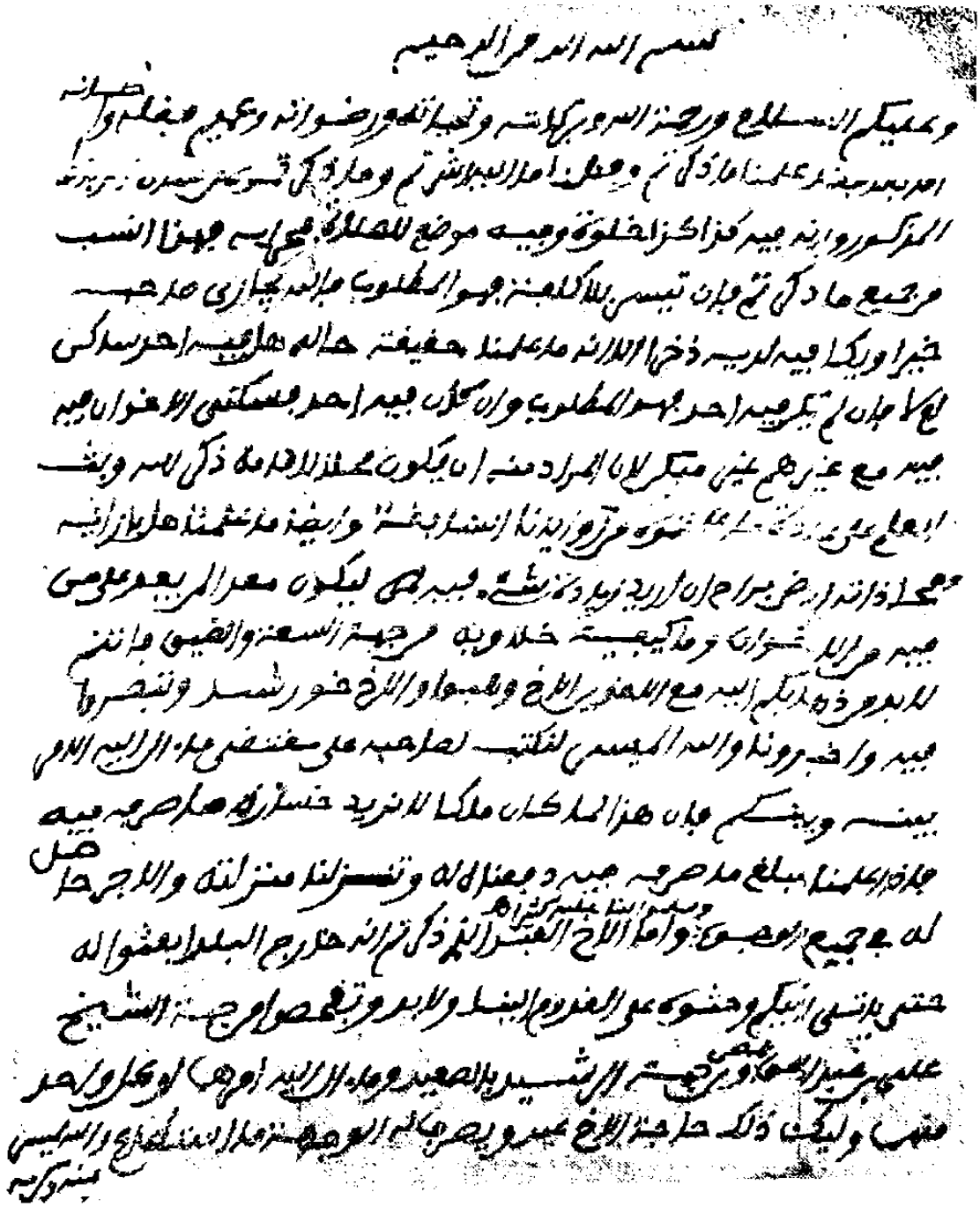

كتاب من الامام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي بعث به إلى العلامة السيد عبد الله التواتي خليفته بإحدى زوايا الحجاز وهو بخط يده الكريمة

المصدر: الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 18.

الملحق رقم: 04 خريطة توزيع الزوايا السنوسية

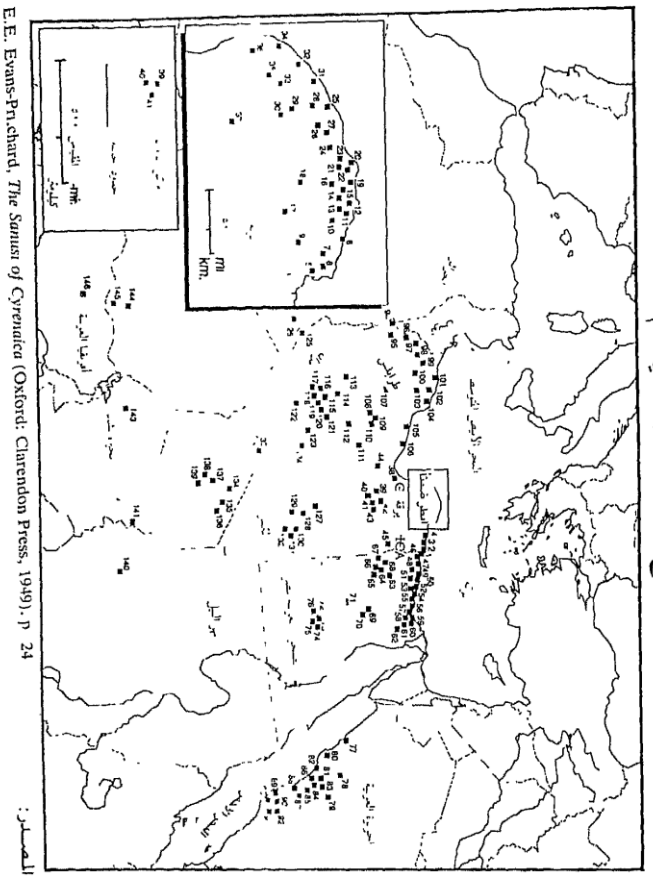

خريطة رقم (٤ - ١)
توزيع الزوايا السنوسية في عام ١٩٢٠

المصدر: E.E. Evans-Pritchard, *The Sanusi of Cyrenaica* (Oxford: Clarendon Press, 1949), p. 24

المصدر: عبد اللطيف حميدة: المجتمع والدولة الاستعمار في ليبيا، ص 137.

الملحق رقم: 05 صورة السيد أحمد الشريف السنوسي

المصدر: أي.أف.دي كاندول: الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره, ص38.

الملحق رقم: 06 وثيقة البيعة من الاخوان السنوسيين لمحمد بن علي السنوسي

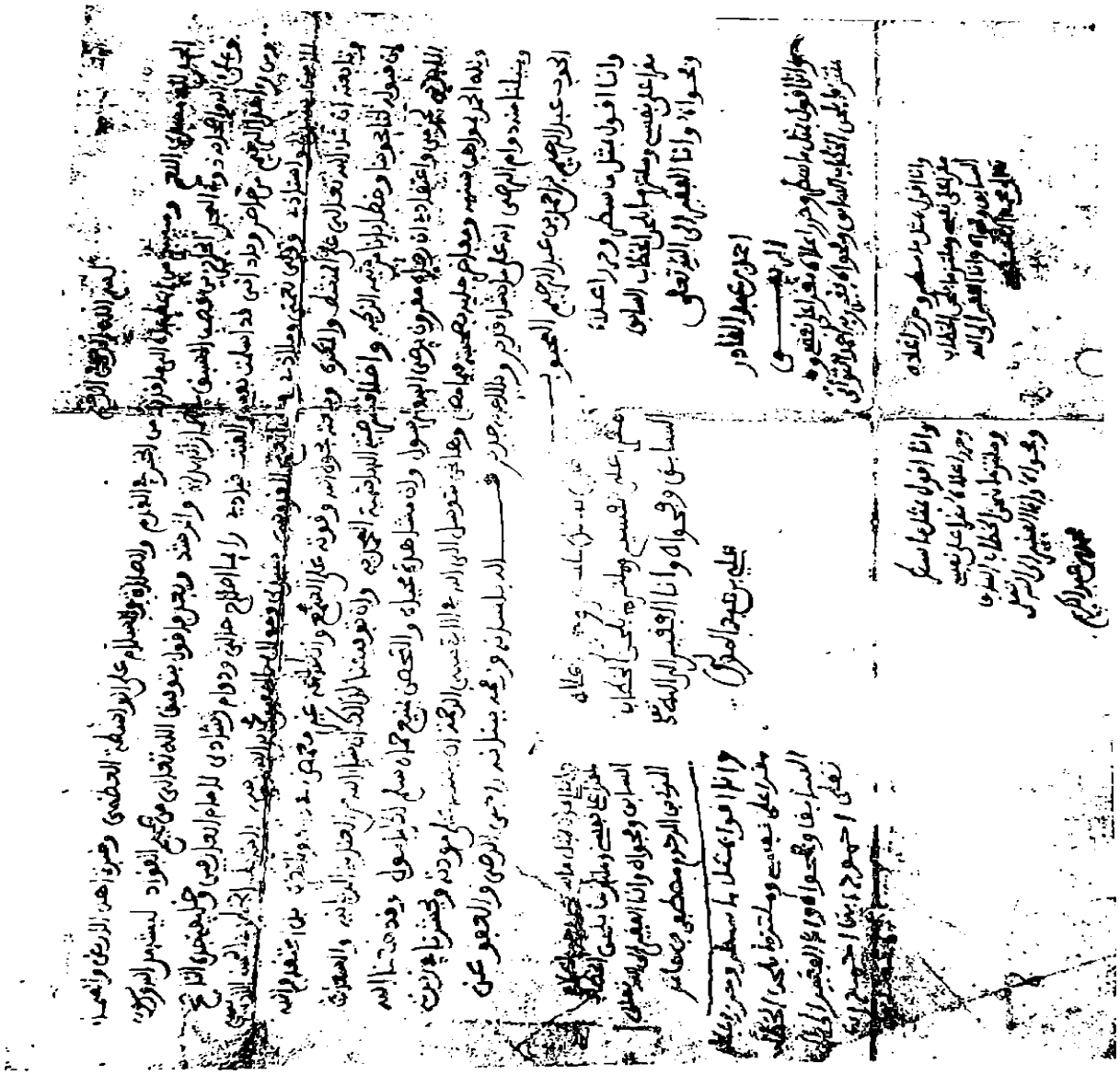

وقع هذه الوثيقة عدد من كبار الأخوان السنوسيين وهى بمثابة البيعة وتنص على التسليم المطلق للامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى رضى الله عنه

المصدر: الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص 59.

الملحق رقم: 07 رسالة من متصرف لواء بنغازي الى السيد السنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

حضرة الجناب الفاضل حاوي كمالات الافاضل شيخنا الكامل وعمدتنا العامل الاستاذ المرشد سيدي السيد محمد المهدي ابن السيد محمد ابن السيد علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي دام فضله وعمّ بركته آمين

بعد اهداء ما يليق من الاحترام وتقبيل ايادكم الكرام والاستفسار عن خاطركم على الدوام نعرض لسيادتكم قبل اني شرفنا جوابكم المبني بصحتكم وعافيتكم التي صبحنا بها اقصى المرام ثم نعرض لسيادتكم ان صدر احد العاصرين من طرف درنة فرانسه الدعم فيما عمل توجه نحو جيرت شاد لجهة وادي ومنها قاصد الجرح الى طرفنا اوائل جهة غزالة وطرابلس وهي قد التمس منا مفاوضته وذلك من الواجب مانعا صدات التي بيننا الدول على ذلك رجوا من سيادتكم اذا وصل وحضر الى طرفكم قاصدا الى هذه الجهة تلاحظوه وتوصوا عليه من يلزم لمفاوضته وعدم التعدي عليه حتى يصل الى جانبكم والمقصد من مفاوضته اجل طالما قد عرض قلاقل ومشكلات كما لا يخفى سيادتكم وكم الفضل والمنة وربنا الحمد منا وعليكم هذا وارجو دام تقدمكم وصالح دعائكم خصوصا لحضرة الخليفة الاعظم مولانا امير المومنين وله كم ايضا وما يلزم من المذام نشرحه لكم الفضل وسلموا لنا على حضرات الاجناب المحروسين وعلى حضرات السادة الاخوات وتستمر همم صفي وبعين العناية ملحوظين سيدي ومولاي ٦ القعدة ١٣٣٦ خديمكم مصطفى بن عزي فريق

صورة من كتاب بعث به متصرف لواء بنغازي إلى الإمام (الثاني)
السيد محمد المهدى السنوسي رضي الله عنه

المصدر: الطيب الأشهب: السنوسي الكبير، ص60.

الفهرس

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
كلمة شكر وعرفان	
مقدمة	1
الفصل الأول: محمد بن علي السنوسي وتأسيس الطريقة السنوسية	
تمهيد	10
المبحث الأول: التعريف بالحركة السنوسية	10
أولا: تعريف الحركة السنوسية	10
ثانيا: مبادئ الطريقة السنوسية ومنهج دعوتها	12
ثالثا: خصائص الطريقة السنوسية	15
رابعا: ظروف نشأة الحركة السنوسية	16
المبحث الثاني: مؤسس الطريقة السنوسية محمد بن علي السنوسي (1202-1276ه، 1787-1859م)	17
أولا: نسبه	17
ثانيا: مولده ونشأته	18
ثالثا: تعليمه ومؤلفاته	19
رابعا: رحلته و وفاته	21
المبحث الثالث: أهم أئمة الحركة السنوسية	25
أولا: محمد المهدي السنوسي 1260-1320ه، 184-1902م	25
ثانيا: أحمد الشريف 1290-1351ه، 1873-1933م	27
خلاصة	30
الفصل الثاني: علاقة الطريقة السنوسية بالمجتمع من خلال نشاط الزوايا	
تمهيد	32
المبحث الأول: الزوايا السنوسية	32
أولا: تأسيس الزوايا	32
ثانيا: أهم الزوايا السنوسية وعواصمها	38
المبحث الثاني: النشاط التعليمي للزوايا السنوسية	44
أولا: دور المكاتب الابتدائية للزوايا	44
ثانيا: دور المعهد العالي للجغبوب	45

المبحث الثالث: النشاط الاجتماعي للزوايا السنوسية	47
أولا: الخدمات الاجتماعية للزوايا	47
ثانيا: علاقة الزوايا السنوسية بالقبائل الليبية	48
خلاصة	52
الفصل الثالث: علاقة الطريقة السنوسية بالسلطة العثمانية	
تمهيد	54
المبحث الأول: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد المؤسس محمد بن علي السنوسي	54
أولا: محمد بن علي السنوسي والدولة العثمانية	54
ثانيا: سياسة محمد بن علي السنوسي اتجاه الدولة العثمانية	56
ثالثا: اعتراف الدولة العثمانية بالطريقة السنوسية وخدمة السنوسية لها	61
المبحث الثاني: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد محمد المهدي السنوسي	66
أولا: محمد المهدي السنوسي والسلطان عبد المجيد	66
ثانيا: محمد المهدي السنوسي والسلطان عبد الحميد	67
ثالثا: التعاون التركي العثماني في عهد المهدي	76
المبحث الثالث: العلاقات السنوسية العثمانية في عهد أحمد الشريف	78
أولا: اضطراب العلاقات السنوسية العثمانية في عهد أحمد الشريف	78
ثانيا: عودة العلاقات بين أحمد الشريف والدولة العثمانية	79
ثالثا: مساندة أحمد الشريف السنوسي للدولة العثمانية	80
خلاصة	84
خاتمة	86
قائمة المصادر والمراجع	90
الملاحق	96
الفهرس	102
الملخص	104

الملخص:

استطاعت الطريقة السنوسية أن تجعل لنفسها تاريخا قائما بذاته, وذلك بفضل سياستها الدينية الإصلاحية المعتدلة, والتي ساهمت في لم شمل القبائل الليبية وتشكيل مجتمع متماسك بعد أن كان عبارة عن قبائل متناحرة, فقد كان هدفها الأسمى إصلاح نفوس الأفراد بالدرجة الأولى, وإصلاح أحوال الأمة الإسلامية بدرجة أكبر, وكانت الزوايا وسيلتها لتحقيق ذلك مما جعلها تسعى للمحافظة على علاقاتها بالدولة العثمانية بصفتها دولة الخلافة الإسلامية, فهي الوحيدة القادرة على مساندة مثل هذه الحركات الإصلاحية في تحقيق مبتغاها, خاصة وأن الحركة السنوسية كانت حركة دينية بالدرجة الأولى وهي في حاجة الى قوة سياسية تساندها وتدعمها, وعلى هذا الأساس كانت العلاقات السنوسية العثمانية ودية في غالب أحيانها منذ عهد المؤسس محمد بن علي السنوسي حتى الاحتلال الايطالي لليبيا.

Summary/ Abstract:

Thanks to its moderate reformist religious policy, which contributed to the reunification of Libyan tribes and the formation of a cohesive society after it was just rival tribes. The Senussi orderwas able to make itself a stand-alone history; its ultimate goal was to reform the souls of individuals in the first place, and to reform the conditions of the Islamic nation largely. and the Zawiyas was its means of achievingthat,This made it seek to maintain its relations with the Ottoman Empire as a state of Islamic caliphate, It is the only one capable of supporting such reformist movements in achieving their goal, especially since the Senussi movement was primarily a religious movement and needs a political force to support it and support it. On this basis, Ottoman - Senussi relations were often friendly, from the time of founder Muhammad bin Ali El-Senussi to the Italian occupation of Libya.